الْفَصْلُ الثَّالِثُ

ضَوَابِطُ التَّعَامُلِ مَعَ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

ضَوَابِطُ التَّعَامُلِ مَعَ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

● **الأَوَّلُ: مقارنة الحِلم، والرفق، والتثبت، ومفارقة الطيش والعجلة:**

عن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ، قال: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»(١).

وعنها ـ رضي الله عنها ـ، قالت: «استأذن رَهْطٌ من اليهود على النبي ﷺ، فقالوا: السَّامُ عليك، فقلت: «بل عليكم السَّامُ واللَّعْنَةُ»، فقال: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»، قلت: «أو لم تسمع ما قالوا؟»، قال: «قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»(٢).

وعن جرير ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: (مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»(٣).

قال ﷺ لأشج عبدالقيس: «إِنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ؛ الْحِلْمُ(٤) وَالْأَنَاةُ»(٥).

عن خباب بن الأرتِّ ﷺ، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسِّد بُردةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ، فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٩٤) (١٦/١٤٦- نووي).

(٢) رواه البخاري (٦٩٢٧) واللفظ له، ومسلم (٢١٦٥).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٢) (١٦/١٤٥- نووي).

(٤) الحِلم: ترك العجلة، وهو خلاف الطيش ونقيض السفه، وقال الراغب: «هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب» «المفردات» ص(١٢٩).

(٥) رواه البخاري (٨٧)، ومسلم (١٨).

لَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «التَّأَنِّي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحِلْمِ»[2].

والعَجَلة: فعل الشيء قبل وقته اللائق به، وكانت العرب تَكْنِي العجلة أمَّ الندامات[3].

وقال عطاء بن أبي رباح - رحمه الله تعالى -: «ما أوى شيءٌ إلى شيءٍ أزينُ من حِلْمٍ إلى عِلْمٍ»[4].

وقال وهب بن منبه - رحمه الله تعالى -: «الرفق ثنيُّ الحِلم»[5].

وقال أكثم بن صيفي - رحمه الله تعالى -: «دِعامة العقل الحِلم، وجِمَاع الأمر الصبر»[6].

وقال أمير المؤمنين عليٌّ ﷺ: «إن أول ما عَوِّضَ الحليم من حلمه أن الناس كلَّهم أعوانه على الجاهل»[7].

وقال أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما -: «لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حِلْمُه جهله وصبرُه شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم»[8].

وسأل ﷺ عمرَو بنَ الأهتم: أيُّ الرجال أشجع؟ قال: «من رَدَّ جهلَه بحِلْمه»، قال: فأي الرجال أسخى؟ قال: «من بذل دنياه لصالح دينه»[9].

---

(١) رواه البخاري (١٢/٣١٥ - ٣١٦) - فتح.

(٢) عزاه الهيثمي إلى أبي يعلى؛ وقال «رجاله رجال الصحيح» «مجمع الزوائد» (٨/١٩)، وله شاهد من حديث سهل بن سعد ﷺ رواه الترمذي (٢٠١٢).

(٣) «روضة العقلاء» ص(٢٨٨).

(٤) رواه الدارمي (٥٧٦) (١/١٥٢).

(٥) «الإحياء»، (٣/١٨٦).

(٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩) «السابق»، (٣/١٧٨).

قال معاوية ﷺلرجلٍ شَهِدَ عنده بشهادةٍ: «كذبتَ»، فقال الأعرابي: إن الكاذب للمتزمِّل في ثيابك، فقال معاوية: هذا جزاء من يَعْجَل»[(١)].

قال الأوزاعي: «كان عمر بن عبدالعزيز إذا أراد أن يعاقب رجلًا حبسه ثلاثًا، ثم عاقبه؛ كراهيةَ أن يعجل في أول غضبه»[(٢)].

وعن حفص بن غياث، قال: قلت لسفيان الثوري: «يا أبا عبداللّٰه، إن الناس قد أكثروا في المهدي، فما تقول فيه؟»، قال: «إن مَرَّ على بابك؛ فلا تكن منه في شيء، حتى يجتمع الناس عليه»[(٣)].

وقال عبداللّٰه: «إنها ستكون هنات، وأمور مشبهات، فعليك بالتؤدة؛ فتكون تابعًا في الخيرِ خيرٌ من أن تكون رأسًا في الشر»[(٤)].

وعن حذيفة ﷺأنه ذكر فتنة، فقال: «تُشَبَّهُ مُقْبِلَةً، وتُبَيِّنُ مُدْبِرةً»[(٥)].

قال شمر: معناه أن الفتنة إذا أقبلت شَبَّهَت على القوم، وأرتهم أنهم على الحق؛ حتى يدخلوا فيها، ويركبوا منها ما لا يحل؛ فإذا أدبرت وانقضت، بان أمرها، فَعَلِمَ من دخل فيها أنه كان على الخطإ»[(٦)].

قال أبو حاتم ـ رحمه اللّٰه تعالى ـ: «إن العاجل لا يَكاد يَلحق؛ كما أن الرافق لا يكاد يسبق، والساكت لا يكاد يندم، ومن نطق لا يكاد يسلم، وإن العَجِل يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويحمد قبل أن يُجَرِّبَ»[(٧)]

(١) «روضة العقلاء»، ص (٢٩٠).
(٢) «سير أعلام النبلاء»، (١٣٣/٥).
(٣) «حلية الأولياء»، (٣١/٧).
(٤) «المصنف»، لابن أبي شيبة، (٣٤/١٥).
(٥) «السابق»، (٢٠/١٥).
(٦) «لسان العرب»، (٥٠٣/١٣ ـ ٥٠٤).
(٧) «روضة العقلاء»، ص (٢١٦).

لَا تَـعْـجَـلَـنَّ فَـرُبَّمَـا عَـجِـلَ الْـفَـتَـى فِيمَـا يَـضُـرُّهْ
وَلَـرُبَّمَـا كَـرِهَ الْـفَـتَـىٰ أَمْـرًا عَـوَاقِـبُـهُ تَـسُـرُّهْ[(١)]

وفي المثل: «إذا لم تستعجل تصل».

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ[(٢)]

وقال عمرو بن العاص لابنه عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ: «الخَرَق معاداة إمامك، ومناوأة من يَقْدِرُ على ضررك»[(٣)].

فَائِدَةٌ: مَعْنَى قَوْلِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ في الرُّومِ: «إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ»:

قال المستورِدُ القرشي عند عمرو بن العاص ﷺ: «سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «تَقُومُ السَّاعَةُ والرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»، فقال له عمرو: أبصِر ما تقول، قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالًا أربعًا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فَرَّة، وخيرهم لمسكينٍ، ويتيمٍ، وضعيف، وخامسة حسنة جميلة، وأمنعهم من ظلم الملوك»[(٤)].

والشاهد قوله ﷺ: «إنهم أحلم الناس عند فتنة»؛ «يعني إذا ظهر تغير الحال، وظهرت الفتن؛ فإنهم يحلُمون، ولا يعجلون، ولا يغضبون؛ ليقوا أصحابهم النصارى القتل، ويقوهم الفتن؛ لأنهم يعلمون أن الفتنة إذا ظهرت؛ فإنها ستأتي عليهم؛ فلأجل تلك الخصلة فيهم، بقوا أكثر الناس إلى قيام الساعة؛ ولهذا، فإننا نعجب أن لا نأخذ

(١) «بصائر ذوي التمييز»، (٢٤/٤).
(٢) «فيض القدير»، (٩٨/٦).
(٣) «الإحياء»، (١٨٨/٣).
(٤) رواه مسلم في «الفتن»، (٢٢/١٨ ـ نووي)، وحكى الأُبِّيُّ في «إكمال إكمال المُعْلِم» عن القرطبي قوله: «هذه الخلال الأربع الحميدة لعلها كانت في الروم التي أدرك، وأما اليوم فهم أنحس الخليقة، وعلى الضد من تلك الأوصاف»، وقال الأبي: «هو مدح لتلك الأوصاف، لا أنها مدحٌ لهم؛ من حيث اتصافهم بها، ويحتمل أنه إنما ذكرها من حيث إنها سبب كثرتهم، وإلا فهم على الضد كما ذكر، ولاسيما فيما ذكر من كَرِّهِم بعد فَرِّهم؛ فإنهم الآن ليسوا كذلك» اهـ. (٢٤٦/٧).

بهذه الخصلة التي حمد بها عمرو بن العاص الروم، وكانت فيهم تلك الخصلة الحميدة، ونحن أولى بكلِّ خَيْرٍ عند مَن هم سوانا»[١].

● **الضَّابِطُ الثَّانِي: لَا يُسْتَنْكَرُ تَوَقُّعُ حُصُولُ شَيْءٍ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ بِشُرُوطٍ:**

إن ترقُّبُ حصول أشراط الساعة التي تقع بإرادة اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الكونية القدرية ليس بدعة، ولا خطأ؛ خاصَّةً إذا تعاقبت الإرهاصات، والمقدمات التي جاءت بها الأخبار؛ ودليل ذلك أن الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ لما سمعوا رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ يُحَدِّثُهُمْ عن الدجال فَخَفَضَ فيه ورفع ـ ظنوا أنه في طائفة النخل، وشَكُّوا في ابن صيَّادٍ أنه المسيح الدجال، بل منهم من أقسم لرسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ على ذلك؛ كما في الأحاديث الصحيحة عن عمر وجابر[٢] ـ رضي اللَّه عنهما، ورسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ لم ينكر عليه، بل قال ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ: «إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ»، وكذلك شَكَّت فيه حفصة، وابن عمر، وغيرهما من الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم[٣].

ويُرْوَى عن أبي ذرٍّ الغفاري ﷺ قال: «ما تؤيسني رقة عظمي، ولا بياض شعري أن ألقى عيسى ابن مريم»[٤].

ولا يزال العلماء في كل عصر ومصر يتكلمون بذلك، ويتوقعون قرب حصول بعض الأشراط؛ قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ: «كل ما وقع في حديث معاوية هذا، فقد شاهدناه بتلك البلاد، وعاينا معظمه إلا خروج المهدي»[٥] اهـ.

وقال محمد صديق حسن خان ـ رحمه اللَّه ـ: «... وهذه الجملة من الأشراط

---

(١) «الضوابط الشرعية لموقف المسلم من الفتن»، للشيخ/ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ـ حفظه اللَّه ـ، ص (١٨ ـ ١٩).

(٢) ، (٣) انظر: «جامع الأصول»، «١٠/٣٦٢ ـ ٣٧٥».

(٤) «طبقات ابن سعد»، (٤/٢٣).

(٥) «التذكرة»، ص (٧٢٥).

موجودة تحت أديم السماء؛ وهي في التزايد يومًا فيومًا، وقد كادت أن تبلغ الغاية، أو قد بلغت، ولم يبق إلا الأشراط الكبرى التي أوَّلُها ظهور المهديِّ ـ عليه السلام»(١).

ولا شك أننا الآن أقرب إلى هذه العلامة من أي وقتٍ مضى.

● **أَمَّا شُرُوطُ هَذَا الضَّابِطِ:**

فَأَوَّلُهَا: أن تبقى هذه الأشراط في دائرة التوقع المظنون دون أن نتكلف إيجادها بإجراءات من عند أنفسنا؛ لأنها أمور كونية قدرية واقعة لا محالة، ولم نخاطَب باستخراجها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

وَثَانِيهَا: أن يُراعَى الترتيبُ الزمني لتسلسل الأشراط؛ طبقًا لما دلت عليه نصوص الوحي الشريف، وعدم القطع بزمان أو ترتيب ما لا دليل على زمنه وترتيبه إلا الظن والتخمين(٢).

---

(١) «الإذاعة»، ص (١١٠ ـ ١١١).

(٢) فمن أشراط الساعة ما قطعت النصوص بتعيين ترتيبها؛ مثل الدجال؛ يليه نزول المسيح؛ يليه يأجوج ومأجوج؛ ومثل قوله ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»، «انظر تخريجه، ص (٧٣٠)»، ومنها: مقدمات إجمالية ذُكِرَتْ دون تعيين ترتيبها، بالنسبة لما يتوقع من الأشراط؛ كانحسار الفرات عن جبل من ذهب، وعودة أرض العرب مروجًا وأنهارًا، ونحو ذلك.

فَائِدَةٌ: أَشْرَاطُ السَّاعَةِ قِسْمَانِ:

صغرى تؤذن بقرب الساعة، وكبرى تُؤْذِنُ بوقوع الساعة، وقد اختلف العلماء في عددها وترتيبها، وإختلافهم في العدد يعود إلى سببين:

الأَوَّلُ: اختلافهم في صحة سند الحديث؛ فمن تساهل زاد في عددها، ومن تشدد ودقق، وجدها أقل.

الثَّانِي: اختلافهم في تصنيف بعض الأشراط بين الصغرى والكبرى؛ فظهور المهدي مثلًا عدَّه بعضهم من الصغرى، ورآه آخرون من الكبرى؛ كما ذهب قوم إلى أن طلوع الشمس من مغربها أول الأمارات الكبرى، ورأى آخرون أن أولها الدجال.

وكثير ما يحدث لدى الكلام عن الساعة وأشراطها، وعما يكون بعدها أن يطوي بعض الرواة بعض المشاهد، أو يفهم بعضهم عمن حدثه فهمًا خاصًا، فيصوغه بعبارته؛ فيحدث لبس أو وهم.

أما اختلافهم في تسلسل وقوع بعضها ـ أحيانًا ـ، فسببه عدم وجود نص صريح يبين ترتيبها حسب وقوعها، ولا سيما الكبرى، وقد جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب غالبًا، فقد عطفت=

وَثَالِثُهَا: أن لا يُؤَثِّرَ هذا الترقب سلبًا على أداء واجب الوقت، وتكاليف الشرع.

والدليل على ذلك أن صحابة رسول اللَّه ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وسلم ـ ورضي اللَّه عنهم أجمعين ـ قد صدَّقوا بهذه الأشراط، وكانوا أول المؤمنين بها، ولم يهدروا التكاليف الشرعية؛ كالدعوة، وطلب العلم، والجهاد؛ انتظارًا لوقوعها، بل كان تصديقهم بها أكبر حافز لهم على التنافس في القربات، والاجتهاد في الطاعات؛ امتثالًا منهم لأمر نبيهم ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا»، وذكر من أشراط الساعة: «طلوعَ الشمس من مغربها، والدجالَ، والدخان، ودابة الأرض، وخاصَّة أحدكم، وأمر العامة»[1].

ونزل بين ظهرانيهم قول اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾،

= بالواو، أو بأو؛ وكلاهما لا يفيد الترتيب، بل إن الحديث الواحد ليختلف ترتيبه بين رواية ورواية؛ فحديث حذيفة بن أَسِيد الغفاري ﵁ رواه مسلم عنه بلفظين مختلفين في الترتيب، وكذلك حديث أبي هريرة ﵁ مسلم، (٢٩٤٧). وإحدى الروايتين بالواو، والأخرى بأو، وهما لا يدلان على الترتيب، إلا أن تسلسل بعضها يقيني؛ فقد ذكرت بعض الروايات الأشراط مرتبة حسب وقوعها؛ كما في حديث النواس بن سمعان ﵁ ومن ناحية أخرى، فإن بعض الروايات ذكرت أن أول الآيات كذا، وبعضها ذكر أن أول الآيات غير ذلك، وقد حاول العلماء الجمع والتوفيق بين الروايات؛ بأن الأولية بينها نسبية، أو من ناحية مخصوصة؛ ففي حديث عبداللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى.. الحديث»؛ أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وهي مخالفة للعادات المستقرة؛ فطلوع الشمس من مغربها أول الآيات السماوية، وخروج الدابة أول الآيات الأرضية، وهما العلامة الأولى لتغيير أحوال الكون، وقرب قيام الساعة. وأكثر الخلاف إنما هو في الأشراط الكبرى، أما الصغرى؛ فأكثرها يُعرف ترتيبه من خلال حدوث بعضها إثر بعض.

ومن الجدير بالذكر أن كون الشيء من أشراط الساعة، لا يعني أنه حرام أو ممنوع؛ فإن أشراط الساعة تشتمل على المحرم، والواجب، والمباح، والخير، والشر؛ فالحكم يؤخذ من دليل آخر، وانظر: «المسيح المنتظر ونهاية العالم»، ص (٨ ـ ٩).

(١) رواه من حديث أبي هريرة ﵁ مسلم رقم (٢٩٤٧) في الفتن، باب في بقية من أحاديث الدجال، في بعض الروايات: (خُوَيْصة) تصغير خاصة الإنسان، وهي ما يخصه دون غيره، وأراد به الموت؛ الذي يخصه، ويمنعه من العمل، إن لم يبادر به قبله؛ كما في «جامع الأصول»، (٤١٢/١٠).

وقوله - سبحانه -: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ①﴾، [الأنبياء: ١]، وقوله: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، [النحل: ١]، ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾، الآية، [الشورى: ١٧ - ١٨]، وقوله - عز وجل - ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، [الأحزاب: ٦٣][(١)]، وقد أثنى الله - عز وجل - على الصحابة، وامتدح من اتَّبَعَهُمْ بإحسانٍ؛ فمن خالف هديهم؛ فقد ضَلَّ ضلالًا بعيدًا، واتَّبع غير سبيل المؤمنين، سيأتي مزيد بيان لهذا الشرط في «الضابط السابع» - إن شاء الله - تعالى.

فَائِدَةٌ:

عن أبي موسى ﷺ، قال: «خسفت الشمسُ، فقام النبي ﷺ فَزِعًا يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد، فصلَّى بأطولِ قيامٍ، وركوعٍ، وسجودٍ، ما رأيته قَطُّ يفعله، وقال: «هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ، وَدُعَائِهِ، وَاسْتِغْفَارِهِ»[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - تعالى -: «يشكل هذا الحديث من حيث إن للساعة مقدمات كثيرة لم تكن وقعت؛ كفتح البلاد، واستخلاف الخلفاء، وخروج الخوارج، ثم الأشراط؛ كطلوع الشمس من مغربها، والدابة، والدجال، والدخان، وغير ذلك».

وَيُجَابُ عَنْ هَذَا:

- باحتمال أن تكون قصة الكسوف وقعت قبل إعلام النبي ﷺ بهذه العلامات.

---

(١) ولا يستبعد وقوع الساعة، واقتراب أشراطها إلا الغارقون في الشهوات؛ فمن ثَمَّ جاءت هذه الآيات واعظة لهم ومخوفة.

(٢) رواه البخاري، (٢/٥٤٥).

ـ أو لعله خشي أن يكون ذلك بعض المقدمات.

ـ أو أن الراوي ظن أن الخشية لذلك، وكانت لغيره؛ كعقوبة تحدث؛ كما كان يخشى عند هبوب الريح؛ هذا حاصل ما ذكره النووي تبعًا لغيره، وزاد بعضهم:

ـ أن المراد بالساعة غير يوم القيامة؛ أي الساعة التي جُعلت علامة على أمرٍ من الأمور؛ كموته ﷺ أو غير ذلك»، ثم طفق الحافظ ـ رحمه الله ـ يُعَلِّقُ على هذه الأقوال، فقال:

«وفي الأول نظر؛ لأن قصة الكسوف متأخرة جدًّا؛ فقد تقدم أن موت إبراهيم كان في العاشرة؛ كما اتَّفَقَ عليه أهل الأخبار، وقد أخبر النبي ﷺ بكثير من الأشراط، والحوادث قبل ذلك.

ـ وأما الثَّالِثُ؛ فتحسين الظن بالصحابي يقتضي أنه لا يجزم بذلك إلا بتوقيف.

ـ وأما الرابع، فلا يخفى بُعْدُه.

ـ وأقربها الثاني، فلعله خشي أن يكون الكسوف مقدمة لبعض الأشراط؛ كطلوع الشمس من مغربها، ولا يستحيل أن يتخلل بين الكسوف، والطلوع المذكور أشياء مما ذكر، وتقع متتاليةً؛ بعضها إثر بعضٍ، مع استحضار قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾.

ـ وقيل: لعله قدَّر وقوع الممكن، لولا ما أعلمه الله ـ تعالى ـ بأنه لا يقع قبل الأشراط؛ تعظيمًا منه لأمر الكسوف؛ ليتبين لمن يقع له من أمته ذلك كيف يخشى ويفزع، لاسيما إذا وقع لهم ذلك بعد حصول الأشراط، أو أكثرها.

ـ وقيل: لعل حالة استحضار إمكان القدرة غلبت على استحضار ما تقدم من الشروط؛ لاحتمال أن تكون تلك الأشراط كانت مشروطة بشرط لم يتقدم ذكره؛ فيقع المخوف بغير أشراطٍ؛ لفقد الشرط، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم»[1] اهـ. كلامه ـ رحمه الله تعالى.

---

(١) «فتح الباري»، (٢/٥٤٦).

وعن جابر رضي الله عنه قال: هاجت ريحٌ حمراءُ بالكوفة، فجاء رجلٌ ليس له هِجِّيرى(١) إلا: يا عبدالله بن مسعود جاءت الساعة، قال: فقعد ـ وكان متكئًا ـ، فقال: «إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقْسَمَ ميراثٌ، ولا يُفْرَحَ بغنيمة»، ثم قالا بيده هكذا، ونحَّاها نحو الشأم، فقال: «عَدُوٌّ يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام»، قلت: الروم تعني؟ قال: «نعم»، الحديث(٢)، فتأمل كيف أنكر ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ غلُوَّه في توقع قيام الساعة إلى حدِّ القَطْعِ بأنها «جاءت» بالفعل، دون اعتبار لما قبلها من الأشراط.

• الضَّابِطُ الثَّالِثُ: الِانْتِبَاهُ إِلَى النِّسْبِيَّةِ الزَّمَانِيَّةِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى اقْتِرَابِ السَّاعَةِ.

إن ما ورد في نصوص الوحيين من قرب قيام الساعة، وظهور أماراتها لا يعني أنها على الأبواب؛ فإن القرب، والبعد كلاهما أمرٌ نسبي، ومن يدري لعل بيننا وبينها آلافًا من السنين لا يعلمها إلا الله، ولعلها أقرب مما نتصور.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾، [الشورى: ١٧]، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾، [الأحزاب:٦٣]، وفي معناهما قوله ـ تعالى ـ في سياق الرد على منكري البعث والإعادة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾، [الإسراء: ٥١]، وفي التعبير عن قربه بـ «لعل»، و«عسى» ما يناسب عدم إطلاع الله لرسوله على وقته، ولا شك أن قرب ذلك اليوم الذي مقداره ـ من مبدئه إلى غايته ـ خمسون ألف سنة مناسب له، ولما تقدم من عمر الدنيا، وبقي منه؛ فالقرب والبعد من الأمور النسبية، والمراد قربها بالنسبة إلى ما مضى من عمر الدنيا، ولا يعلمه إلا الله ـ تعالى(٣) .

(١) أي: شأنه ودأبه ذلك، والهجيرى بمعنى الهجير.
(٢) رواه مسلم في «صحيحه»، (١٨/٢٣ ـ ٢٤)، نووي.
(٣) انظر: «تفسير المنار»، (٩/٣٩٣).

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾، [القتال: ٨]، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال «رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا، الوسطى، والتي تلي الإبهام، وقال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»[(١)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ؛ كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى، وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَى»[(٢)].

إن بعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة، وكذلك موته ﷺ، فقد قال ﷺ لعوف بن مالك رضي الله عنه: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي»[(٣)]، الحديث.

وقال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وقد تواترت الأحاديث بوقوع انشقاق القمر، وعن خالد بن عمير رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ؛ فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ[(٤)]، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ؛ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ؛ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا»[(٥)]، فَإِذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قد قال هذا قبل أكثر من أربعة عشر قرنًا؛ فهمنا من هذه النصوص وغيرها أن قرب الساعة قُرْبٌ نِسْبِيٌّ؛ أي هي قريبة بالنسبة إلى عمر الدنيا كلها، وقد رَوَى المطلب ابن عبدالله، عن عبدالله بن عمر أنه كان واقفًا بعرفات، فنظر إلى الشمس حين تدلت مثل التُّرْس

---

(١) رواه البخاري، (٦٥٠٣)، (١١/٣٤٧ ـ فتح)، ومسلم، (٢٩٥٠)؛ والمعنى: أننا لو قدرنا عمر الزمن بالأصبع الوسطى؛ فإن ما بقي منه عند مبعث رسول الله ﷺ يكون بمقدار ما تزيد الوسطى عن السبابة، وما مضى منه بمقدار السبابة من الأصبع الوسطى، قد يكون الباقي في حس البشر طويلًا؛ لأن إدراكهم محدود، ولكنه في ميزان الله قريب وقصير، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، [النحل: ١]، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾، [النحل: ٧٧].

(٢) رواه البخاري، (٦٥٠٤)، (١١/٣٤٧)، ومسلم، (٢٩٥١)، والترمذي، (٢٢١٤، ٢٢١٥).

(٣) رواه البخاري: (٣١٧٦) (٦/٢٧٧).

(٤) صَرْم: انقطاع وانقضاء، حَذَّاء: خفيفة سريعة، الصُّبابة: البقية اليسيرة من الشراب، تبقى في أسفل الإناء.

(٥) رواه الإمام أحمد، (٤/١٧٤).

للغروب، فبكى واشتد بكاؤه، فقال له رجل عنده: يا أبا عبدالرحمن، قد وقفتَ معي مرارًا لم تصنع هذا، فقال: ذكرت رسول الله ﷺ، وهو واقفٌ بمكاني هذا، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ فِيمَا مَضَى مِنْهَا إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ»(١).

وقال الله ـ تعالى ـ: في شأن الساعة: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾، [الأعراف: ١٧٨].

وهذا يُفَسِّرُهُ قول رسول الله ﷺ في اقتراب الساعة، وقرب وقوعها: إِنَّهَا «كَالْحَامِلِ الْمُتِمِّ الَّتِي لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجَؤُهُمْ بِوِلَادِهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا»(٢).

«والقول الجامع للآية، والحديث: إن الثِّقَلَ هو الاقتراب بصورةٍ ثابتةٍ للحق على الرغم من تغير مراحل هذا الاقتراب؛ تمامًا مثل الجنين الذي يَتَغَيَّرُ كل يوم من حالٍ إلى حال، ولكنه مُتَّجِهٌ نحو الولادة؛ فلا يخرج التغير اليومي على التوجه للولادة، وكما لا تنفصل الولادة عن لحظة الجماع الأولى؛ لا تنفصل الساعة عن بدء الخلق»(٣).

إن القرون التي يستطيلها الإنسان الذي خُلق من عَجَل ما هي في عمر الدنيا إلا لحظات، وقيام الساعة قريبٌ في علم الله، وتقديره، وإن كانت المقاييس البشرية ـ لو اطلعت عليه ـ تراه بعيدًا، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾، [المعارج: ٦ ـ ٧]؛ فكل ما هو آتٍ قريب، والبعيد ما ليس بآت(٤)، وإن عامة نصوص الوحيين التي تدل على اقتراب الساعة، وأشراطها الكبرى يجب أن تُفْهَمَ في ضوء هذه «النسبية» بين ما مضى من عمر الدنيا، وبين ما بقي منه؛ وَلَمَّا كنا لا ندري كم عمر

---

(١) رواه الإمام أحمد، (٦١٧٣)، (٢٧/٩)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».
(٢) عجز حديث رواه الإمام أحمد، (٣٥٥٦)، (١٨٩/٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».
(٣) «علامات الساعة» ص (٢٩).
(٤) ولو أنك أجّلت من استدان منك أجلًا طويلًا ـ كأن تؤجله خمسين سنة مثلًا ـ فعند انقضاء خمس وأربعين سنة تقول: إن موعد السداد قد اقترب؛ أي بالنسبة لما مضى من الموعد المضروب.

الدنيا؛ صِرْنَا لا نستطيع الجزم بموعد انتهائه، لكننا نستطيع فقط أن نستنتج من تلك النصوص أن ما بقي بالنسبة إلى ما مضى شيء يسير، لكن لا يُعْلَم مقدار ما مضى، وما بقي إلا علام الغيوب، الذي وسع كل شيء علمًا ـ سبحانه وتعالى.

وقد كَثُرَ ضرب الأمثال لهذه «النسبية» في الأحاديث النبيوية الشريفة؛ ومن المعلوم أن الأحكام لا تؤخذ من الأحاديث التي هي لضرب الأمثال؛ كما قال إمام الحرمين ـ رحمه الله ـ تعالى[1].

قال الأستاذ سعيد حوى ـ رحمه الله ـ في معرض حديثه عن علامات الساعة: «وبعض الناس تَغْلِبُ عليهم أغلاطٌ في فَهْمِ بعض هذه العلامات، أو في تقدير وقتها؛ إذ إن منها ما يكون قرب الساعة بقليل جدًّا قبل المسيح بسنوات أو معه، ومنها ما يكون قبل ذلك بكثير جدًّا؛ فيغلطون بالجمع بينهما، ومنها ما لا تدل عليه المقدمات الحاضرة، فيغلطون في تأويلها.

ومنها ما جعلهم عصرنا الحاضر، ومخترعاته يفهمونها فَهْمًا عاديًّا وهي خوارق، ومنها ما هو دليلٌ على الخيرية يظنونه مذمومًا.

فمثلًا يَظُنُّ الناس أن الدين إلى انحسارٍ حتى خروج المهدي، مع أن المهدى قبل عيسى بقليل، وقبل ذلك يعم الإسلام العالم، وتفتح روما[2]، والقسطنطينية اليوم

---

(١) نقله عنه المناوي في «الفيض»، (٢/٥٦٦).

(٢) يشير إلى ما رواه الإمام أحمد، (٢/١٧٦)، والدارمي (١/١٢٦)، والحاكم، (٣/٤٢٢)، (٤/٥٠٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، عن أبي قبيل، قال: «كنا عند عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رَضِيَ الله عنهما ـ، وسئل: «أي المدينتين تفتح أوَّلًا: القسطنطينية أو رومية؟»، فدعا عبدالله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبدالله: بينما نحن حول رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ نكتب؛ إذ سُئِلَ رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «أي المدينتين تفتح أولًا: أقسطنطينية أو رومية؟»، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا»؛ يعني «قسطنطينية»، «ورومية»: وهي «روما» عاصمة إيطاليا، «وقسطنطينية» هي «بيزنطة» و«استانبول».

مسلمة، وكانت كافرة، ففتحت[١]. وقد أخبر الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وسلم - بالفتح الأول، ولكن يبدو أن القسطنطينية سترجع كافرةً مَرَّةً ثانية[٢]، وتفتح من جديد[٣]، وفتحها الثاني يكون قبيل المسيح بقليل، والناس لا يفرقون بين فتحها الأول، والثاني.

---

(١) وذلك بعد أكثر من ثمان مئة سنة من إخبار النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وعلى آله وسلم - بالفتح؛ أي في سنة ٨٥٧ هـ، (١٤٥٣م)، على يد السلطان محمد الفاتح العثماني - رحمه الله.

(٢) قال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله -: «وورد أن من أشراط الساعة فتح القسطنطينية، وهو في الصحاح، قال شيخ شيوخنا العلامة الشيخ محمود نشابة: «معناه أن العرب يفتحونها من أشقياء الترك»، ولم يكن الشيخ من أهل السياسة، ولا كان في زمنه شيءٌ من التعادي بينهم وبين العرب، دع ما فعلته الحكومة التركية في هذا الزمان، من ترك شريعة الإسلام، وكان مسلمو الترك يحملون الأحاديث على فتح السلطان محمد لها، ولكنها صريحة في أن فتحها يتلوه في عهده ظهور الدجال»، اهـ. من «تفسير المنار»، (٩/٤٠٦).

وقال العلامة أحمد شاكر - رحمه الله -: «فتح القسطنطينية المبشر به في الحديث سيكون في مستقبل قريب أو بعيد، يعلمه الله - عز وجل -، وهو الفتح الصحيح لها؛ حين يعود المسلمون إلى دينهم الذي أعرضوا عنه، وأما فتح الترك الذي كان قبل عصرنا هذا؛ فإنه كان تمهيدًا للفتح الأعظم، ثم هي قد خرجت بعد ذلك من أيدي المسلمين، منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية، وعاهد الكفار أعداء الإسلام، وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة، وسيعود الفتح الإسلامي لها - إن شاء الله -؛ كما بشر به رسول الله ﷺ» اهـ. من حاشية، «عمدة التفسير»، (٢/٢٥٦).

(٣) كأن الشيخ - رحمه الله - يقصد الإشارة إلى ما ورد في صحيح مسلم؛ من حديث أبي هريرة ﷺ العشرين المتقدم في الباب الأول، وفيه التصريح بفتح القسطنطينية من جديد، وقد يكون قد قصد - رحمه الله - الإشارة إلى حديثه ﷺ الذي قد رواه مسلم - أيضًا، (٢٩٢٠)، عنه قال رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ؛ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ، وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟»، قالوا: نعم، يا رسول الله، قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا»، الحديث، وعلق الدكتور / عمر الأشقر - حفظه الله - قائلًا: «ذهب العلماء إلى أن هذه المدينة هي «القسطنطينية»، وإن لم يسمها رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -، وقد خطر ببالي أن هذه المدينة قد تكون «البندقية» في إيطاليا؛ فإن جزءًا كبيرًا من بيوتها مبنيٌّ في داخل البحر، وجزء في البر، وقد نظرت إلى المدينتين خلال زيارتي لكل واحدةٍ منهما؛ فرأيت «البندقية» أقرب إلى المراد بالحديث، والله أعلم». اهـ. من «القيامة الصغرى»، ص (٢٣٠).

والظاهر ـ كما أن مدنيات قديمة كثيرة قد اندرست على مر العصور؛ فإن مدينتنا الحاضرة لن تستمر؛ إذ إن النصُوص الكثيرة تفيد أن الناس قبل قيام الساعة لن يكونوا على شيء من العلم[١]، وهذا يؤكد أن بيننا، وبين القيامة شيئًا من الفترة الزمنية اللَّه أعلم به، ولكن أشراطًا كثيرة وردت في السنة الثابتة لم تقع، ويبدو أن وقوعها يحتاج إلى زمان طويل، والمسألة بعد ذلك كله هكذا:

ـ ما ورد من علامات الساعة؛ إن كان وقع، فهو معجزة، وقد رأينا نماذجه في النبوءات.

ـ وما ورد من علاماتها مما لم يقع؛ فالإيمان به واجب، واللَّه أعلم بزمانه، وظروف وكيفية وقوعه.

ـ ولن تقوم الساعة حتى تستنفد علاماتها، وأشراطها التي وردت في الكتاب، والسنة، وشيء ننبه إليه هو: أن لا يدفعنا واقع عصرنا إلى تأويل شيء من علامات الساعة التي لم تقع لأن واقع عصرنا، وما فيه قد ينتهي بحرب ذرية تعود الإنسانية فيها إلى بدايتها الأولى، ولا يبقى فيها إلا الجاهلون»[٢] اهـ.

● الضَّابِطُ الرَّابِعُ: لَا يُمْكِنُ إِسْقَاطُ النُّصُوصِ الَّتِي يَطْرُقُهَا الِاحْتِمَالُ عَلَى وَاقِعٍ مُعَيَّنٍ إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِهَا وَانْقِضَائِهَا:

فقد كان من هدي السلف ـ رحمهم اللَّه ـ أنهم لا يُنَزِّلون أحاديث الفتن على واقع حاضر؛ وإنما يرون أصدق تفسير لها، وقوعها مطابقة لخبر النبي ﷺ؛ ولذلك نلاحظ أن عامَّة شارحي الأحاديث الشريفة كانوا يُفيضون في شرحها، واستنباط الأحكام منها، حتى إذا أتوا على أبواب الفتن، وأشراط الساعة، أمسكوا أو اقتصدوا في شرحها للغاية، وربما اقتصروا على تحقيق الحديث، واكتفوا بشرح غريبه؛ بخلاف ما يحصل

(١) انظر: «القيامة الصغرى»، للدكتور / عمر الأشقر حفظه اللَّه ص (٢٧٤-٢٧٥).
(٢) «الإسلام»، (٤/٨٥).

من بعض المتعجلين المتكلفين اليوم؛ فإنه بمجرد ظهور بوادرَ لأحداث معينة؛ سياسية كانت، أو عسكرية، محلية، أو عالمية تستخفهم البُداءات، وتستفزهم الانفعالات، فيُسقطون الأحاديث على أشخاص معينين، أو وقائع معينة، ثم لا تلبث الحقيقة أن تبين، ويكتشفوا أنهم تهوروا، وتعجلوا.

وربما كان دافعهم نبيلًا؛ فهم يحسبون أن إسقاط النبوءات على الواقع مما يزيد يقين المسلمين، ويقوي إيمانهم، ويمكنهم من إقامة الحجة على المكذبين بنبوة رسول الله ﷺ، وفي هذا تأييدٌ لدين الحق، نقول: نعم، ولكن بالشرط المذكور آنفًا؛ لأن العجلة في مثل ذلك قد تأتي بعكس ما يشتهون؛ إذ لو خيبت الأحداث ـ إذا اكتملت ـ ظنهم؛ ربما كانت النتيجة عكسية عند الكفار، وعند ضعاف المسلمين.

ولا بد من أن تكون النصوص التي يطبق عليها هذا الضابط مما يطرق دلالته الاحتمالُ، بخلاف النصوص المحكمة التي دلَّ الدليل على المراد منها؛ بحيث لا تلتبس على أحد؛ فإنها لا تخضع لهذا الضابط؛ مثل نزول المسيح ـ عليه السلام ـ من السماء عند المنارة البيضاء بدمشق، وصلاته الصبح خلف المهدي، ومثل خروج الدجال بصفته التي أخبر بها النبي ﷺ.

● **الضَّابِطُ الخَامِسُ:**

حصر مصادر التلقي فيما هو حجة شرعية، وإهدار ما عداه؛ كالأحاديث الضعيفة، والموضوعة، والإسرائيليات التي تعارض ما عندنا، أو التي أُمِرْنا بالتوقف فيها، وحساب الجُمَّل المسمى بعلم الحروف، ومرويات الرافضة، وجفرهم المزعوم، والمنامات، ونحوها؛ وذلك أن الأشراط التي لمَّا تقع غيب، ولكنه غيب صادق، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مصدره الكتاب، والسنة الصحيحة.

تَنْبِيهٌ: ينبغي التفريق بين قول المعصوم ﷺ، وبين اجتهاد العالم، أو الباحث في تفسيره، وإسقاطه على الواقع؛ فقد يخطئ العالم في تحديد وقت حدوث شيء من

الأشراط، أو يخطئ في ترتيبه الأحداث.

● **الضَّابِطُ السَّادِسُ: مَا أُشْكِلَ عَلَيْكَ؛ فَكِلْهُ إِلَى عَالِمِهِ.**

قال - تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، الآية: [النساء: ٨٣]، وفي الخبر: «إنما شفاء العِيِّ السؤال»، وقال أبو حامد الغزالي: «لو سكت من لا يعرف، قلَّ الاختلاف، ومن قصر باعه، وضاق نظره عن كلام علماء الأمة، والاطلاع؛ فما له وللتكلم فيما لا يدريه، والدخول فيما لا يعنيه؟! وحَقُّ مثلِ هذا أن يلزم السكوت»[١].

● **وَهَاكَ أَمْثِلَةً لِمَا يُشْكِلُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ فِي بَابِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَجَوَابِ الْعُلَمَاءِ عَنْهَا:**

١- ذكر فتح القسطنطينية عقب الملحمة، وقبيل خروج الدجال؛ مع أنها فُتِحَتْ على يد محمد الفاتح العثماني؛ والجواب أنه فتحٌ آخر غير الفتح الأول؛ كما تقدم قريبًا.

٢ - جفاف بحيرة طبرية الذي ذُكر في حديث الجساسة على أنه أحد مقدمات خروج الدجال، وقد جفت بحيرة طبرية الآن[٢]، أو كادت، وهذا لا يعني بالضرورة تحقق تلك العلامة؛ لأن من المحتمل أن تمتلئ البحيرة من جديد، ثم تجف قبل ظهور الدجال، أو قد تبقى جافَّةً مُدَّةً يعلمها الله إلى ظهور الدجال، وعليه؛ فلا يشكل قول الدجال: «أما إن ماءها يوشك أن يذهب»[٣]؛ لأن القرب هنا نِسْبِيٌّ؛ كما تقدم[٤].

---

(١) انظر: «الحاوي»، (٢/١١٦).

(٢) وقد نشر في السبعينيات بجريدة الأخبار صورة فتاة تقف على أرض البحيرة الجافة وقد تشققت، وكتب عليها: «وجفت المياه في بحيرة طبرية».

(٣) جزء من حديث الجساسة، الذي رواه مسلم (٢٩٤٢).

(٤) ومما يناسب إيراده في هذا المقام ما حكاه بعض الأفاضل؛ وأَقَرَّهُ بلهجة الاستحسان، عن شيخ صالح من الأردن يُدْعَى «الدباغ»، قال: «كان هذا الشيخ يقول للناس، ويقسم أن بريطانيا وحلفاءها سينتصرون في الحرب العالمية الثانية على ألمانيا! وكان الناس يعجبون من ذلك! بل لقد أسرَّ إليه بعض المقربين أن الشكوك بدأت تحوم حوله؛ بأنه يقوم بالدعاية لبريطانيا، وقد بيَّن الشيخ - رحمه الله - الأساس الذي بنى عليه يقينه؛ وهو أنه ربط بين حديث الرسول ﷺ الذي بَيَّنَ أن المسلمين سيقاتلون اليهود قبل قيام الساعة، وبين أحداث عصره؛ فبريطانيا الدولة المنتدبة على فلسطين هي التي رعت فكرة قيام الدولة=

بل قد ثبت في الحديث أن يأجوج ومأجوج: «يَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ»(١)، ومعلوم أن خروجهم إنما يكون بعد نزول عيسى ـ عليه السلام ـ، وَقَتْلِهِ الدَّجَّالَ.

٣ـ ورد وصف الأسلحة التي تستعمل في حروب آخر الزمان؛ ففي الملحمة الكبرى خيول وفوارس(٢)، وفي فتح القسطنطينية «الثاني»: «قد علقوا سيوفهم بالزيتون»(٣)، وبعد هلاك يأجوج، ومأجوج: «يُوقِدُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قِسِيِّهِمْ، وَنُشَّابِهِمْ، وَأَسْلِحَتِهِمْ، وَأَتْرِسَتِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ»(٤).

وقد حاول بعض العلماء الإجابةَ عن هذا؛ فقالوا: «إن هذه الأحاديث، وأحاديثَ مشابهة كثيرة تدل على أن هذه الحضارة الهائلة التي اخترعت هذه القوة الهائلة من القنابل، والصواريخ ستتلاشى، وتزول، **وأغلب الظن** أنها ستدمر نفسها بنفسها، وأن البشرية ستعود مرة أخرى إلى القتال على الخيول، واستعمال الرماح، والقسي، ونحو ذلك، والله أعلم»(٥).

= اليهودية منذ وعد بلفور، وما تلا ذلك من أحداث، ولن تقوم لليهود دولة إلا إذا انتصرت بريطانيا! ولو انتصرت ألمانيا؛ لتبدد الحلم اليهودي في الدولة! وقد كان ما فهمه الشيخ من حديث الرسول ﷺ، وفسر به أحداث عصره، بل تنبأ بالشيء قبل أن يكون» اهـ. من مجلة «البيان»، عدد (٣٣)، ١٤١١هـ، ص (١٧). وهذا الذي فهمه الشيخ الدباغ محتمل، ولم يكن مؤكدًا؛ لأنه يمكن عقلًا أن تتحول ألمانيا النازية عن عداء اليهود، وقد كان، بل صارت ألمانيا ما بعد النازية من أشد حلفاء الدولة اللقيطة، التي ابتزت أموالها بحجة التكفير عما سمي بمحارق النازية، وكان يمكن ـ عقلًا ـ أن تنتصر ألمانيا في هذه الحرب، ثم يشاء الله هزيمتها بعد ذلك، وإنما أوردت هذا الأنموذج التطبيقي؛ لندرك أهمية التمييز ـ في مثل هذه الكائنات ـ بين ما هو يقين يحلف الإنسان عليه، وبين ما هو ظن محتمل ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

(١) جزء من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ رواه مسلم، (٢٩٣٧)، وأبو داود، (٤٣٢١)، (٤٣٢٢)، والترمذي، (٢٢٤١).

(٢) كما في «صحيح مسلم»، (٢٨٩٩)، (٤/٢٢٢٣).

(٣) كما في «صحيح مسلم»، (٢٨٩٧)، (٤/٢٢٢١).

(٤) رواه ابن ماجة، وصححه الألباني في «الصحيحة»، رقم، (١٩٤٠)، (٤/٥٧٩).

(٥) انظر: «القيامة الصغرى»، ص (٢٧٥)؛ «الأيام الأخيرة من عمر الزمن»، ص (٤٩ ـ ٦٠).

٤ـ عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ ؛ سألوه عن الساعة، متى الساعة؟ فينظر إلى أحدث إنسان منهم، فيقول: «إِنْ يَعِشْ هَذَا، لَمْ يُدْرِكْهُ الهَرَمُ؛ حَتَّى قَامَتْ عَلَيْكُمْ السَّاعَةُ»، قال هشام: «يعني موتهم»[١] .

وعن أنس بن مالك ﷺ ، أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ : متى الساعة؟ فسكت رسول الله ﷺ هُنَيْهَةً، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءَةَ، فقال: «إِنْ عُمِّرَ هَذَا الْغُلَامُ، لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»، قال أنس: وذلك الغلام من أترابي يومئذ[٢] .

والمراد بقوله ﷺ «الساعة» في هذين الحدثين «ساعة المخاطبين»؛ لأن ساعة كل إنسان موته، وهذا الجواب من رسول الله ﷺ يعرف بجواب الحكيم، فإنه أرشدهم إلى الاستعداد للموت، والتأهب للقاء الله؛ فإنه قريب قريب.

وعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاءَ في آخر حياته، فلما سلَّم قال: «أَرَأَيْتَكُم لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ»[٣] ، وإنما أراد النبي ﷺ انقضاء القرن الذي هو فيه؛ أي أنه بعد مئة عام يموت كل من كان حيًّا عندما نطق النبي ﷺ بهذا الحديث؛ ولذلك قال عبدالله بن عمر: «فوهل[٤] الناس في مقالة رسول الله ﷺ تلك، فيما يتحدثونه بهذه الأحاديث: نحو مئة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ : «لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ»؛ يريد بذلك: أن ينخرم القرن»[٥] .

---

(١) رواه البخاري، (٦٥١١)، ومسلم، (٢٩٥٢).

(٢) رواه مسلم، (٢٩٥٣).

(٣) رواه البخاري، (١١٦)، ومسلم، (٢٥٣٧)، والترمذي، (٢٢٥٢).

(٤) الوَهَلُ: الفزع، وهِلْتُ أهِل وهَلًا: إذا فجأك أمرٌ لم تعرفه، فارتعت له، ووهَل يَهِل إلى الشيء وهْلًا: إذا ذهب وهمه إليه؛ كما في «جامع الأصول»، (٣٨٩/١٠).

(٥) القرن من الزمان: أهل زمانٍ مخصوص، وانخرامه: انقضاؤه.

ومما يدل على أنه ﷺ لم يرد قيام الساعة ما رواه جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: «تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ الْيَوْمَ يَأْتِي عَلَيْهَا مِئَةُ سَنَةٍ، وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ»(١).

قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ: «والمعنى في الحديث: أن كل من هو موجود الآن ـ يعنى ذلك الوقت إلى انقضاء ذلك الأمد المعين ـ يكونون قد ماتوا، ولا يبقى منهم على الأرض أحد؛ لأنَّ الغالبَ على أعمارهم لا يتجاوز ذلك الأمد الذي أشار إليه النبي ﷺ، فتكون قيامة أهل ذلك العصر قد قامت»(٢).

● الضَّابِطُ السَّابِعُ: لَا نُعَطِّلُ السُّنَنَ، وَالْأَسْبَابَ بِحُجَّةِ انْتِظَارِ الْمَهْدِيِّ:

فمن الناس من يُعَطِّلُ العملَ اكتفاءً بالأمل، ويهرب من إصلاح الواقع المرير للأمة بحجة أنه تسبب فيه من قبلنا، وسيصلحه من بعدنا، ويتوقف عن السعي للتمكين لدين الله؛ بحجة أن المهديَّ هو الذي سيفعل.

إنه هروب إلى الأماني، مع تعطيل الأسباب الشرعية، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

أَمَانِيُّ إِنْ تَكُ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى ... وَإِلَّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدَا

إن هذا الإغراق في ترقب ظهور المهدي مظهر سلبي يعكس الانحراف في فَهْمِ العلاقة بين الأمور الكونية القدرية، وبين الأمور الشرعية الإرادية، أما الأمور الكونية، والأحكام القدرية ـ والتي يقع ضمنها الغيوب المستقبلية ـ فهي واقعة لا محالة، وواجبنا حيالها التصديقُ بها قبل وقوعها، ثم امتثال الأحكام الشرعية المتعلقة بها إذا حضر

---

(١) رواه مسلم، (٢٥٣٨)، والترمذي، (٢٢٥١).
(٢) «جامع الأصول»، (١٠/٣٨٨).

وقتها، وأما الأحكام الشرعيةُ الإراديةُ الطلبية فنحن متعبدون في كل وقت بامتثالها.

وما أصدق ما نُسِبَ إلى جعفر الصادق - رحمه الله - من قوله لمن خاض في الأحكام القدرية، وانشغل بها عن واجب الوقت: «إن الله أراد بنا أشياء، وأراد منا أشياء، فما أراده بنا أخفاه عنا، وما أراده منا بينه لنا، فما بالنا ننشغل بما أراده بنا عما أراده منا؟».

فَصْلٌ

فِي وُجُوبِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، وَعَدَمِ مُنَافَاةِ ذَلِكَ لِلتَّوَكُّلِ

قال الله - عز وجل -: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا﴾ [النساء: ٧١]، وقال - سبحانه -: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾... الآية [الأنفال: ٦٠]، وقال - عز وجل -: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥]، وقال - تعالى -: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، أو قال - سبحانه -: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١]، وقال - جل وعلا -: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٩]، وقال - تعالى -: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧].

وأمر الله مريم - عليها السلام - أن تأخذ بالأسباب، وهي في أشد ضعفها، فقال: - عز وجل -: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم: ٢٥]

وكان رسول الله ﷺ يُعِدُّ لكل أمْرٍ عُدَّتَهُ، ويرسم له خُطَّتَهُ، كما حدث في رحلة الهجرة؛ فقد أَعَدَّ الرواحِلَ، والدليلَ، واختارَ الرَّفِيقَ، وَحَدَّدَ مكانَ الاختفاء إلى أن يهدأ الطلب، وأحاط ذلك كله بسياجٍ من الكتمان، وكذلك كانت سيرته في غزواته كُلِّهَا، وعليه رَبَّى

أصحابه الكرام، فكانوا يَلْقَوْنَ عدوهم متحصنين بأنواع السلاح، ودخل رسول الله ﷺ مكةَ، والبيضة على رأسه، مع أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وكان إذا سافر في جهاد، أو حج، أو عمرة، حمل الزاد والمزاد.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فحال النبي ﷺ وحال أصحابه، مَحَكُّ الأحوال، وميزانها، بها يُعْلَمُ صحيحها من سقيمها؛ فإن هِمَمَهُمْ كانت في التوكل أعلى من همم من بعدهم»(١).

وبيَّنَ ﷺ أن الأخذ بالأسباب لا يُنَافِي التوكلَ على الله ـ سبحانه ـ وحده؛ فعن أنس بن مالك ؓ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ على نَاقَةٍ له، فقال: يا رسول الله، أدعها وأتوكل؟ فقال ﷺ «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»(٢).

وعن أمير المؤمنين عُمَرَ ؓ عن النبي ﷺ قال: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوح بِطَانًا»(٣).

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «ليس في الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأن الطيرَ إذا غدت فإنما تغدو لطلب الرزق»(٤).

وقال ﷺ «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَز»(٥)... الحديثَ.

---

(١) «مدارج السالكين»، (١٣٥/٢).

(٢) رواه الترمذي رقم (٥٣٧)، (٦٦٨/٤)، وابن حبان في «صحيحه»، رقم (٢٥٤٩)، «موارد»، ص(٦٣٣)، وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار»: «إسناده جيد»، (٢٧٩/٤)، بهامش «الإحياء».

(٣) رواه الإمام أحمد (٣٠/١، ٥٢)، والترمذي رقم (٢٣٤٤) (٥٧٣/٤)، وقال: «حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وابن ماجة رقم (٤١٦٤) (١٣٩٤/٢)، والحاكم في «المستدرك»، (٣٨١/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية»، (٦٩/١٠).

(٤) «شعب الإيمان»، (٦٦/٢-٦٧).

(٥) رواه مسلم رقم، (٢٦٦٤)، (٢٠٥٢/٤)؛ وابن ماجه في «المقدمة»، رقم (٧٩)، (٣١/١)، والإمام أحمد (٣٦٦/٢، ٣٧٠).

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قضى بين رَجُلَيْنِ، فقال الْمَقْضِيُّ عليه لما أَدْبَرَ: «حَسْبُنَا اللَّهُ ونعم الوكيل»، فقال رسول الله ﷺ: «مَا قُلْتَ؟»، قال: قلتُ: «حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ؛ فَإِنْ غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»(١).

ونَدَّدَ عمر رضي الله عنه بالكسالى القاعدين عن طلب الرزق: «لا يَقْعُدَنَّ أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن السماءَ لا تُمْطِرُ ذهبًا، ولا فِضَّةً، وإن اللَّه ـ تعالى ـ يقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

لقد كانوا يُدْرِكُونَ أن للَّه ـ تعالى ـ سُنَنًا في هذا الكون، وفي حياة البشر، غير قابلة للتغيير، ومع أن للَّه ـ سبحانه ـ سننًا خارقةً لا يعجزها شيء، إلا أن اللَّه ـ عز وجل ـ قَضَى أن تكونَ سنته الجارية هي الأصل الثابت في الحياة الدنيا، وأن تكون سنته الخارقة استثناءً من هذا الأصل، وكلتا السنتين مرتبطة بمشيئته ـ جل وعلا ـ؛ ولذلك كان الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ يحترمون السنن، ويأخذون بالأسباب، دون تعليق القلوب بها، أو التوكل عليها؛ لأن اللَّه ـ عز وجل ـ أمرهم بها، وعَلَّمهم أن الوصول إلى نتيجة معينة في واقع حياتهم مَنُوطٌ بالاتخاذ بالأسباب المؤدية إليها؛ وعلى ذلك جرت سنة اللَّه ـ سبحانه ـ في خلقه.

قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه اللَّه ـ «واعلم أن تحقيقَ التَّوَكُّلِ لا ينافي السعي في الأسباب التي قَدَّرَ اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك؛ فإن اللَّه ـ تعالى ـ أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكُّل بالقلب عليه إيمانٌ به»(٢).

ولنا أن نتخيل الحال الذي كان يمكن أن يئول إليه مصير الدعوة، والأمة لو أن

(١) رواه الإمام أحمد، (٦/٢٤-٢٥)، وأبو داود رقم (٣٦١٠)، وضَعَّفَهُ النوويُّ في «الأذكار»، وقال المنذري: «في إسناده بقية ابن الوليد، وفيه مقال»، وضَعَّفَهُ الألباني في «تحقيق الكلم الطيب»، ص(٧٩).
(٢) «جامع العلوم والحكم»، ص (٤٠٩).

الأجيال السابقة أصغوا إلى نداءات الاستسلام، وأحلام الانتظار حتى يخرج المهدي، هل كانوا سيهزمون التتار، والصليبيين، ويفتحون القسطنطينية؟

الإِفْرَاطُ فِي الإِحْسَاسِ بِالْعَجْزِ يَنْشَأُ عَنْهُ تَفْرِيطٌ فِي إِزَالَةِ الْعَجْزِ:

حينما يحاول الناس ملء الفجوة بين الواقع المشهود، وبين الأمل المنشود، يختلف موقفهم تبعًا لنوعية مفاهيمهم، والذي يعنينا هنا ذلك الفريق الذي إذا فكر في حل هذه المعضلة، وملء هذه الفجوة، وكان هناك اتجاهان: أحدهما: إيجابي يُطْلَبُ منه مُوَاجَهَةُ الواقع، ومجابهة الباطل، والمثابرة على الأخذ بأسباب نهوض الأمة، والثاني: سلبيٌّ يَؤُزُّهُ على التخلي عن المسئولية الحاضرة، والفِرَارِ إلى الأماني المستقبلية ـ فإنه ينحاز، بلا تردد، إلى الاتجاه السلبي.

ـ فمنهم من يقول: فلننتظر على أمل أن تخرب الدنيا، وتقع حرب نووية شاملة تدمر معظم البشرية، وتقضي على كل أنواع الأسلحة المتطورة، وعندها يشير إلينا التاريخ برأسه أن هلموا قد جاء دوركم، إن هذا ليس رجاءً محمودًا، ولكنه «اليأس» المُقَنَّعُ.

ـ ومن هؤلاء من يستبشر بانهيار المذاهب الملحدة؛ كالشيوعية، وإفلاس الرأسمالية، وتهافت الأديان الوثنية، والمُحَرَّفَة، ويحسب أن هذا وحده يعني انتصار الإسلام، كلا؛ إن هذا لا يعني التمكينَ للإسلام، حتى يعودَ المسلمون إلى دينهم، ويثوبوا إلى ربهم، ويؤدوا واجبهم في إبلاغ الإسلام إلى البشرية، ويبذلوا الجهد في النهوض من كبوتهم.

ـ ومنهم من يترقب حصول خَوَارِقِ عاداتٍ يترتب عليها التمكين لدين الله في الأرض، وهؤلاء يتناسون سنة الله في الذين خَلَوْا من قبل، وأن الابتلاء حتمي قبل التمكين؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤]، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت:١، ٢]، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ

قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾... الآياتِ. [آل عمران: ١٤٠]

وقال ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

لقد اقترن ميلاد الدعوة الإسلامية في غار حراء بالإخبار عن حتمية جريان سنة الابتلاء؛ قال ورقة بن نوفل: «لم يَأْتِ رجلٌ قطُّ بمثل ما جئتَ به إلا عُودِيَ»، وقال الراهب للغلام: «أي بُنَيَّ، إنك خيرٌ مني، وإنك ستُبْتَلَى»، وقال ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ»، ولما سُئِلَ الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: أَيُّهُمَا خيرٌ للرجل: أن يُمَكَّنَ أو يُبْتَلَى؟ قال: «لَا تُمَكَّنُ حتى تُبْتَلَى».

فمع أن اللَّه ـ عز وجل ـ قادرٌ أن يجعل البشر جميعًا على أتقى قلب رجل واحد منهم بكلمة من حرفين: «كن»، فيكون، إلا أن حِكْمَتَهُ ـ جل وعلا ـ اقتضت أن يُبْتَلَى الناس بعضهم ببعض؛ لتكون العاقبة للتقوى.

إن خرق العادة في كل موقف محنةٌ للمسلمين ينافي كون الدنيا دار عمل وامتحان، والإيمان الذي ينشأ نتيجة الاضطرار لا اعتداد به؛ كإيمان الكافر عند حضور ملك الموت، واليقين الذي ينشأ اضطرارًا لا عبرة به: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢]

لقد أزعج هذا النمط العجيب من التفكير كثيرًا من الناصحين؛ فكتبوا يُصَحِّحُونَ المفاهيم، ويُحَذِّرُونَ الأمةَ من الذين «كره الله انبعاثهم فثبطهم»، وهاك مقالاتِ بعضهم:

أولا: قال العلاَّمةُ ناصِرُ الدين الألباني ـ رحمه الله ـ تعالى ـ:

«لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام، وإقامة دولته على وجه

الأرض؛ انتظارًا منهم لخروج المهدي، ونزول عيسى ـ عليهما السلام ـ؛ يأسًا منهم، أو توهـمًا أن ذلك غير ممكـن قبلهـما؛ فإن هـذا تَوَهُّمٌ باطـل، ويأسٌ عاطـل؛ فإن الله ـ تعالى ـ، أو رسوله ﷺ لم يخبرنا أن لا عودةَ للإسلام، ولا سلطانَ له على وجه الأرض، إلا في زمانهما؛ فَمِنَ الجائز أن يتحقق ذلك قَبْلَهُمَا إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ولقد كان هذا التوهم من أقوى الأسباب التي حملت بعض الأساتذة المرشدين، والكتَّاب المعاصرين، على إنكار أحاديث المهدي وعيسى ـ عليهما السلام ـ على كثرتها، وتواترها؛ لَمَّا رَأَوْا أنها عند المتوهمين مَدْعَاةٌ للتواكل عليها، وتَرْكِ العمل لِعِزِّ الإسلام من أجلها؛ فأخطئوا في ذلك أشد الخطإ من وجهين:

الأول: أنهم أقرُّوهم على هذا التوهم؛ على اعتبار أن مصدره تلك الأحاديثُ المشار إليها؛ وإلا، لم يبادروا إلى إنكارها.

والآخر: أنهم لم يعرفوا كيف ينبغي عليهم أن يعالجوا التوهم المذكور؟؛ وذلك بإثبات الأحاديث، وإبطال المفاهيم الخاطئة من حولها، وما مَثَلُهُمْ في ذلك إلا كَمَثَلِ من أنكر عقيدةَ الإيمان بالقدر خيرِهِ، وشرِهِ؛ لأن بعض المؤمنين به فَهِمُوا منه أن لازمه الجبر، وأنَّ المكلَّف لا كسب له، ولا اختيار، ولما كان هذا الفَهْمُ باطلًا بَدَاهَةً سارعوا إلى إنكاره، ولكنهم أنكروا معه القدر أيضًا؛ لتوهمهم ـ أيضًا ـ مع المتوهمين، أنه يعني الجبرَ، فوافقوهم في خطئهم في التوهم المذكور، ثم زادوا عليهم خطأً آخرَ؛ فِرَارًا من الأول، وهو إنكارهم للقدر نفسه؛ فلولا أنهم شاركوهم في فَهْمِهِمْ منه الجبرَ لما أنكروه.

وهذا عين ما صنعه البعض المشارُ إليه من الأساتذة والكتَّاب؛ فإنهم لما رأوا تواكل المسلمين، إلا قليلًا منهم، على أحاديث المهدي وعيسى، بادروا إلى إنكارها لتخليصهم ـ بزعمهم ـ من التواكل المذكور، فلم يصنعوا شيئًا؛ لأنهم لم يستطيعوا

تخليصهم بذلك من جهة؛ ولا هم كانوا على هُدًى في إنكارهم للأحاديث الصحيحة من جهة أخرى.

والحقيقة أن هؤلاء المنكرين الذين يفهمون من هذه الأحاديث ما لا تدلُّ عليه من التواكل المزعوم؛ ولذلك يبادرون إلى إنكارها؛ تَخلُّصًا منه ـ قد جمعوا بين المصيبتين: الضلال في الفهم، والكفر بالنص، ولكنهم عَرَفُوا أن الفَهْمَ المذكورَ ضلال في نفسه؛ فأنكروه بإنكار النص الذي فهموا ذلك منه.

وعَكَسَ ذلك العامَّة، فآمنوا بالنص مع الفَهْم المذكور، فمع كل من الفريقين هدًى وضلال، والحق الأخذ بهدي كلٍّ منهما، ونبذ الضلال الذي عندهما؛ وذلك بالإيمان بالنص دون الفهم الخاطئ.

وما مثل هؤلاء وهؤلاء إلا كمثل المعتزلة من جهة؛ والمشبِّهة من جهة أخرى؛ فإن الأولين تأوَّلوا آيات وأحاديث الصفات، بتآويلَ باطلةٍ أودت بهم إلى إنكار الصفات الإلهية، وما حملهم على ذلك إلا فِرَارُهُمْ من التشبيه الذي وقع فيه المشبِّهة، والحقيقة أن المعتزِلَة أنفسهم شاركوا المشبِّهة في فَهْم التشبيه من آيات الصفات، ولكنهم افترقوا عنهم بإنكار التشبيه بطريق التأويل الذي هو باطل ـ أيضًا ـ كالتشبيه؛ لِمَا لزم منه من إنكار الصفات الإلهية، وأما المشبِّهة فلم يقعوا في هذا الباطل، ولكنهم ثبتوا على التشبيه، والحق الجمع بين صواب هؤلاء وهؤلاء، وردُّ باطل هؤلاء وهؤلاء؛ وذلك بالإثبات والتنزيه؛ كما قال اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وكذلك أقول في أحاديث نزول عيسى ـ عليه السلام ـ وغيرها؛ فإن الواجب فيها إنما هو الإيمان بها، وردُّ ما توهمه المتوهمون منها؛ من ترك العمل، والاستعداد الذي يجب القيامُ به في كل زمان ومكان، وبذلك نكون قد جمعنا بين صواب هؤلاء وهؤلاء، ورددنا باطل هؤلاء وهؤلاء، واللَّه المستعان»[1]. اهـ.

---

(١) «قصة المسيح الدجال»، للألباني ـ رحمه اللَّه ـ ص (٣٦ ـ ٣٨).

ثَانِيًا: قال الأستاذ/ عبدالعزيز مصطفى ـ وفقه الله ـ تعالى ـ:

«جهاد الكفار ـ أيًّا كانوا، وأينما كانوا، وفي أي زمان كانوا ـ واجبٌ بالشرع المحكم غير المنسوخ، وهذه حقيقة إسلامية ثابتة، وهذا الجهاد واجب بشروطه، وضوابطه، وأحكامه، وليس من هذه الشروط، أو الضوابط، أو الأحكام، أن يُؤَخَّرَ الجهاد انتظارًا لتحول الغيب إلى شهادة، ما هكذا فَهِمَ المسلمون الأوائل، وما هكذا فعلوا، بل إنهم لما أُخْبِرُوا بأن اللَّه ـ تعالى ـ سيكسر مُلك كسرى بسيوفهم ما قبعوا في البيوت ينتظرون تحقق الخبر، ووقوع الأمر بلا مقدمات يبذلونها، وجهود يقدمونها، لا؛ بل أعدوا للأمر عُدَّتَهُ، وأخذوا للشأن أُهْبَتَهُ، حتى وقع النصر، وتطابق أمر الشرع مع أمر القدر.

وإن المسلمين الأوائل لما أُنبِئُوا بأن اللَّهَ سيكسر مُلك قَيْصَرَ على أيديهم لم يناموا على الأسِرَّة منتظرين تحقق النبوءة، ووقوع المعجزة؛ بل شمروا عن ساعد الجد، وجردوا الحسام من الغِمْد، وانطلقوا في أرض الله يقاتلون باسم الله من كفر باللَّه، حتى سقطت مملكةُ قيصرَ، وتطابق المشروع مع المقدور، وهكذا كان الشأن في النبوءات الأخرى عن فتح مصر، والشأم، والعراق، وحتى القسطنطينية، لم يقل السلطان محمد الفاتح إن فتحها ليس وقته الآن، بل قامت موجبات الجهاد الشرعية في عهده، فامتثل، وجاهد، وفتح، وانتصر. أما بعض مسلمي اليوم، فيقولون: لا.. إن جهاد اليهود لن يكون حتى يخرج الدجال..، ولعل هذا من جملة فِتَنِ الدجَّال في هذه الدنيا.

وانطلى هذا الكلام السخيفُ على قطاعات من الشباب المسلم، فألقوا عن كواهلهم تحمل أية مسئولية تجاه المسجد الأقصى الذي بارك اللَّه حوله؛ تمامًا كما انطلى على كثير منهم من قبلُ كلامٌ أسخفُ منه؛ مُؤَدَّاهُ أن الدولةَ الإسلاميةَ والخلافةَ لن تقومَ حتى يخرجَ المهدي!!

وعجبًا لمروجي هذا الكلام، ومردديه، كأنهم يقولون بلسان حالهم لليهود: اشتدوا في عدائكم..، وللنصارى استمروا في طغيانكم..، وللمسلمين استمروا في تَشَتُّتِكُمْ،

وتفرقكم، وتنازعكم، وغُثَائِيَّتِكُمْ، حتى يخرج المهدي إليكم، ولا أدري: بأيَّة حُجَجٍ وأدلة يقعون في هذه الزَّلة؛ متوهمين أن المهدى سيخرج إلى قوم قاعدين، أو سينصره أُناسٌ خاملون؟»[١].

«لقد تبين لنا أن اليهودَ والنصارى ينطلقون من خلال نبوءاتهم التي دخلها كثير من التحريف إلى وضع تصوراتٍ عمليةٍ لما يمكن أن تدار على أساسه الصراعاتُ، وإلى بذل الوُسْعِ من أجل الوصول إلى أهدافٍ دينيةٍ تَسَلُّطِيَّةٍ على العالم، ولم يمنعهم الاقتناع ذهنيا بهذه الأمور من الانصراف ـ أيضًا ـ إلى بناء الحضارة، وتوسيع العمران، وزيادة الإعداد والاستعداد للمستقبل، فماذا أقول؟! أأقول إنهم يفهمون الروح المقصودة من التدين أكثر منا وهم على غير دين صحيح، أأقول إنهم إلى جانب فهمهم للدنيا، وكيفية التعامل معها ـ يَفْهَمُونَ، وهم على ضلال، أن ما يجيء به الدين هو قضايا من صُلْبِ الحياة، وصميم الواقع؟!!

إن اليهود والنصارى بين أيديهم أخبارٌ غير موثوقة، وتفسيرات غير مأمونة، وعقائدُ مضطربةٌ تزيدها التأويلات اضطرابًا، واختلافاتٌ فيما بينهم في الأصول والفروع، يستحيلُ معها الجمع بين الأقوال، ومع كل ذلك فهم جعلوا هذه الأخبارَ، وتلك النبوءاتِ، منارًا يسيرون على ضوئه خلال أحقابٍ طويلة؛ ففي مسيرة اليهود خلال الألفي سنة الخالية لم تكن تدفعهم إلا نبوءات العهد القديم، ولم تستحثَّ آمالهم إلا أخبار الأنبياء السابقين، ولم تستنهض هممهم إلا أمانٍ بعيدةٌ في العودة، والعلو، والسيطرة.

وفي المقابل نرى من بعض قومنا من إذا أُخِذَ بأخبارٍ من الدين عن المستقبل فإنه يجعلها سدًّا أمام الحركة، وعائقًا في وجه التقدم، ويتخذ منها وسادة وثيرة ينام عليها، أو أريكة وطيئة يقتعدها»[٢]. اهـ.

---

(١) «قبل أن يهدم الأقصى»، ص (٢٧٦ ـ ٢٧٧).

(٢) «السابق»، ص (٢٤٧ ـ ٢٤٨).

المَقَالُ الثَّالِثُ: فَارِسُ أَحْلَامِ الدَّعْوَةِ

للأستاذ/ عبدالسلام البسيوني - وفقه اللَّه - تعالى -:

(في إطار العمل الإسلامي، وتحت وطأة المعاناة، وأثقال التقصير، يتطلع الحالمون إلى «فارس الأحلام» في صورة مهديٍّ يصوغه خيالهم، وتُشَكِّلُهُ أحلامُهُمْ ورَغَائِبُهُمْ، يؤمنون به رغم أن كل القرائن تؤكد أن المهدي الذي وردت الإشارات إليه في بعض كتب السنة لَمَّا يُظِلَّنَا زمانه، بل كثيرًا ما خرج هنا وهناك من يزعم أنه المهدي بشحمه، ولحمه، ومواهبه، ثم يتمخض الجبل فيلد بدعًا، ومنكرات، وتنكبًا للسنة، بل ربما ولَّد كفرًا، وضلالًا، وزندقة.

وواقع المسلمين لا يحتاج علاجًا سحريًّا، ولا يحتمل الآن متمهدين، بل يحتاج إلى قادة رعاةٍ يملكون من الوعي القيادي ما يستطيعون من خلاله أن يقودوا الأمة نحو مرافئ السلامة، وشاطئ الرشاد، دنيا وأخرى).

ثم يتحدث عن حاجة الدعوة إلى: (رمز يُشْبِعُ في الأذهان فكرةَ «فارس الأحلام»، ويكون رجلًا تَقِيًّا واعيًا، وأبًا رفيعًا حانيًا، وعالمًا ربانيًّا فوق الطعن، واللمز، فإن فكرة الارتباط مهمة، وفكرة توفر الرمز كذلك مهمة؛ فإننا نرى المسلمين صغارًا وكبارًا لا يزالون يستنجدون برموز الأمة الموتى؛ كصلاح الدين الذي أرقناه في مضجعه من كثرة ندائنا له، وكعماد الدين زنكي، وقطز، وابن تيمية... حتى ضاق من ظاهرة الاستنجاد بصلاح الدين الشاعر «أحمد مطر» الذي استنكر على الناس كثرة استنجادهم بمن يستحيل أن ينجدهم أو يغيثهم، فهتف:

كَمْ مَرَّةٍ فِي الْعَامِ تُوقِظُونَهُ
كَمْ مَرَّةٍ تَحْتَ سِيَاطِ الْجُبْنِ تَجْلِدُونَهُ
وَغَايَةُ الْخُشُونَةْ:
أَنْ تَهْتِفُوا: قُمْ يَا صَلَاحَ الدِّينِ قُمْ
حَتَّى اشْتَكَى مَرْقَدُهُ مِنْ حَوْلِهِ الْعُفُونَةْ

دَعُوا صَلَاحَ الدِّينِ فِي تُرَابِهِ، وَاحْتَرِمُوا سُكُونَهُ
فَإِنَّهُ لَوْ قَامَ حَيًّا بَيْنَكُمْ
فَسَوْفَ تَقْتُلُونَهُ!!»[١] اهـ.

المَقَالُ الرَّابِعُ: مِنْ سُنَنِ الأَنْبِيَاءِ الأَخْذُ بِالأَسْبَابِ المَادِيَّةِ

قال الأستاذ/ محمد العبدة ـ حفظه اللَّه ـ تعالى ـ:

«في غمرة الاندفاع العاطفي، وزحمة الأحداث السطحية، يتناسى المسلمون، أو قد يجهلون سننَ التغيير التي أودعها اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ، في كتابه، أو أجراها على لسان نبيه ﷺ، وبعض هذه السنن يعرفها الناس بالتجربةِ الطويلة، والخبرات المتراكمة المتأملة.

ومن هذه السنن أن الدعواتِ الصادقةَ إذا أُرِيدَ لها النجاحُ لا بد لها من قُوَى تؤيدها، وتنصرها؛ قوى من التكتل الجماهيري الذي يلتف حول هدف واضح محدد، أو بمصطلح ابن خلدون: لا بد من «العصبية» التي تعني الالتحام، والتعاضد، والتنافر؛ لتحقيق هدف معين، وليس المعنى المذموم لكلمة «عصبية».

وإذا كان التكتل سابقًا يَعْتَمِدُ على القبائل، والعشائر، فإنه في العصر الحديث يعتمد على جميع شرائح المجتمع، الذين يلتفون حول علماء فقهاء؛ يعملون بفقههم، وتفكيرهم سنن التغيير، وتحويل المجتمعات، والتأثير فيها، وخاصةً ما نحن فيه من تعقيدات هذا العصر.

هذه القوة والمنعة هي التي افتقدها نبي اللَّه لوط ـ عليه السلام ـ حين قال: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]، فقال رسول اللَّه ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ لُوطًا كان يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَمَا بَعَثَ اللَّهُ بَعْدَهُ نَبِيًّا إِلَّا وَهُوَ فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ»[٢].

---

(١) «فقه الواقع»، ص (٩١ - ٩٣) باختصار.

(٢) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه الإمام أحمد، (٢/٢٣٢)، والحاكم، (٥٦١/٥)، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وأقره الذهبي، وأورده الألباني في «الصحيحة»، رقم (١٨٦٧).

ويقول الإمام الجويني: «ما ابتعث اللَّه نبيًا في الأمم السالفة حتى أيَّده، وعضَّده بسلطان ذي عدة ونجدة، ومن الرسل ـ عليهم السلام ـ من اجتمعت له النبوة، والأيد، والقوة؛ كداود، وموسى، وسليمان ـ صلوات اللَّه عليهم أجمعين»(١).

فإذا كان الأنبياء يؤيَّدون «بثروة من قومهم»؛ وهي القوة والمنعة في العدد والعدة، وهم مع ذلك مُؤَيَّدُونَ بالمعجزات وخوارق العادات، فكيف بغيرهم الذين يرومون التغيير بالعشرات أو المئات، ويقولون نحن نتوكل على اللَّه؟! لا شك أن المسلم يطلب العون من اللَّه، ويتوكل عليه، واللَّه ـ سبحانه ـ وعد المسلمين بالنصر، ولكن لا بد من الأخذ بالأسباب الشرعية، ومن أهمها تجميع القوى التي تناصر وتعاضد.

هل درسنا هذا الموضوع بعمق وأناة، أم أن مقولة: «نعمل والنتائج على اللَّه»، لا تزال هي الشائعة، والأكثر قبولًا ورواجًا، مع أنها ظاهريًّا صحيحة؛ فهي كلمة حق تُسْتَخْدَمُ في غير محلِّها؛ فالقول بأننا نعمل يجب أن يُمَحَّصَ؛ إذ ما يدريك أن عملك صواب، قد أَخَذْتَ فيه بالأسباب؟ نعم إذا بُذِلَ الجهد الصحيح فالنتائج على اللَّه، أما أن يُعمل أيُّ عمل ثم يقال: «النتائج على اللَّه» فهذا ضرب من حب السهولة، وهروب من النقد، وحتى نستريح نفسيًّا من اللوم والتقريع، وحتى مع توفر عنصر الإخلاص في هذا العمل، فهذا لا يكفي؛ فلا بد من معرفة سنن اللَّه في التغيير»(٢). اهـ.

وَاقِعُنَا ... وَانْتِظَارُ الْمَهْدِيِّ

ربط بعض الناس بين الأحاديث الواردة في أحوال آخر الزمان، وأشراط الساعة، وبين حال العالم في زماننا هذا، ورتبوا بعضَها على بعض، ليس هذا فحسب، بل بَنَوْا على ذلك أمورًا نتج عنها فتن جسيمة، وانتهاكٌ للحرمات، والمخرج من ذلك كله أن نتركَ الواقع نفسَه يُفَسِّرُ لنا هذه الأحاديثَ، حتى لا نَرْجُمَ بالغيبِ، أو نَقْفُوَ ما ليس لنا

(١) «غياث الأمم»، ص (١٨٢).
(٢) «خواطر في الدعوة»، ص (٦٩ ـ ٧٠).

به علم؛ اقتداءً بعلماء السلف الصالح الذين أَدَّوْا إلينا هذه النصوص بكل صدق وأمانة، ولم يُقْحِمُوا الظنونَ في تعيينها، وترتيب بعضها على بعض بمجرد الرأي.

ولئن وقع منا تردد في: هل زماننا هو زمان ظهور المهدي؟ فلا ينبغي أن نتردد في الجزم بأننا ـ سواء كان هذا زمان ظهوره أوْ لا ـ مُلْزَمُونَ بكافة التكاليف الشرعية: من طاعةِ اللَّه، والجهادِ في سبيله، وطلبِ العلمِ، والدعوة إلى دينه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في ذلك كله، وغير ذلك من الواجبات، فما يتوهمه بعض الكسالى من أن ظهور المهدي سيكون بداية عصر الاسترخاء والدعة ـ باطل باطل، بل النصوص تُشِيرُ إلى أنه سيكون بدايةً للفتوح، والجهاد، والبذل في سبيل إعلاء كلمة اللَّه ـ عز وجل.

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن: كيف سيكون حال الأمة قبل ظهور المهدي؟ وهل سَتَقُومُ الخلافة الإسلامية من جديد قبل المهدي؟

وبما أن هذا المستقبل غيب، فلا يصح محاولة استطلاعه إلا مِن قِبَلِ وحي اللَّه ـ عز وجل ـ إلى رسوله ـ صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم ـ، وفي هذا الفصل نعرض اتجاهين سلكهما بعض العلماء جوابًا عن هذا السؤال؛ استنادًا إلى أحاديث رسول اللَّه ﷺ.

● **المَسْلَكُ الأَوَّلُ: ستزداد غُرْبَةُ الإسلام حتى يظهرَ المهدي ـ إن شاء اللَّه.**

١ـ قال الشيخ محمد بشير السهسواني الهندي ـ رحمه اللَّه ـ:

«وأما بعد قرن أتباع التابعين، فقد تغيرت الأحوال تغيرًا فاحشًا، وغلبت البدع، وصارت السنة غريبة، واتخذ الناس البدعة سنة، والسنة بدعة، ولا تزال السنة في المستقبل غريبة، إلا ما استثني في زمان المهدي رضي الله عنه، وعيسى ـ عليه السلام ـ، إلى أن تقوم الساعة على شرار الناس»[(١)]. اهـ.

٢ـ وسئل الشيخ عبداللَّه ابن الصِّدِّيق سؤالًا نصه:

---

(١) «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»، (٣٢٩).

(إذا كانت القيامة تقوم على المهدي وعيسى، ودين الإسلام حسب ما ذكرنا، فما معنى قوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «الْإِسْلَامُ غَرِيبٌ، وَكَمَا بَدَأَ يَعُودُ»؟).

فأجاب: (تواتر عن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أنه قال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ»[(١)]، وهو يشير إلى وقتنا هذا؛ فإن الإسلام فيه غريب بمعنى الكلمة، وسيظل كذلك، بل ستزداد غربته إلى أن يأتي المهدي فيظهر الإسلام، ويحيي العدل، وتَزُولُ الفتن والإحن بين المسلمين، ويبقى الحال كذلك مدة المهدي، ومدة عيسى ـ عليه السلام ـ، ثم بعد ذلك تأتي ريح طيبةٌ تأخذ نفس كل مؤمن، فلا يبقى على الأرض من يعرف الله أو يذكره، وإنما يبقى أقوام يتهارجون كما تتهارج الحُمُرُ، فعليهم تقوم الساعة كما جاء في صحيح مسلم، وغيره والله أعلم)[(٢)]. اهـ.

وقد يُستدل لهذا المَنْحَى بما رواه الزبير بن عدي قال: أتينا أنس بن مالك ﷺ، فشكونا إليه الحجَّاجَ، فقال: «اصبروا؛ فإنه لا يأتي عليكم يَوْمٌ أو زمانٌ إلا والذي بعده شر منه، حتى تَلْقَوْا ربكم»، سمعتُهُ من نبيكم ﷺ[(٣)].

وقد ترجم له الإمام ابن حِبَّان ـ رحمه الله ـ:

ذِكْرُ خبرٍ أَوْهَمَ مَنْ لم يُحْكِم صناعةَ الحديثِ أن آخرَ الزمان على العمومِ يكون شرًّا من أوَّلِهِ[(٤)]. ثم أَتْبَعَهُ بترجمة تَدْفَعُ هذا الإيهام، فقال:

ذِكْرُ الخبرِ المصرِّح بأن خبر أنس بن مالك لم يُرَدْ بعموم خطابه على الأحوال كلها[(٥)].

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة ﷺ مسلم، (١٤٥)، في الإيمان: باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا، وتتمته: «فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

(٢) «المهدي المنتظر»، ص (٥١ ـ ٥٢).

(٣) رواه الإمام أحمد، (١٣٢/٣، ١٧٧، ١٧٩)، والبخاري، (٧٠٦٨)، (١٩/١٣ ـ ٢٠)، والترمذي، (٣٣٠٧)، وانظر: «فتح الباري»، (٢٠/١٣ ـ ٢٢).

(٤) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان»، (٢٨٢/١٣).

(٥) «السابق»، (٢٨٣/١٣).

ثم أَسْنَدَ إلى أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا لَيْلَةٌ، لَمَلَكَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ»(١).

وقال الألباني ـ رحمه الله ـ معلقًا على حديث أنس ﷺ:

(هذا الحديثُ ينبغي أن يُفْهَمَ على ضوء الأحاديث التي تُبَشِّرُ بأن المستقبلَ للإسلام، وغيرها؛ مثل أحاديث المهدي، ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ؛ فإنها تدل على أن هذا الحديثَ ليس على عمومه، بل هو من العام المخصوص؛ فلا يجوزُ إفهامُ الناس أنه على عمومه، فيقعوا في اليأس الذي لا يصح أن يتصف به المؤمن: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٢) [يوسف: ٨٧] اهـ.

● **المَسْلَكُ الثَّانِي: ستقوم بإذن الله خلافةٌ على منهاج النبوة قبل ظهور المهدي، أو على الأقل ستنهض الأمة نهضةً شاملةً، ولا يبقى إلا ظهور القائد.**

١ـ قال العلَّامَةُ ناصر الدين الألباني رحمه الله في معرض مناقشته للذين ادَّعَوْا اقتراب ظهور المهدي:

«ما أُظُنُّ أنَّ هذا أوانُ ظهورِهِ، فهذا مُقْتَضَى السنة الكونية، وما أحسب المهدي يَقْدِرُ ـ خلال سبع سنين ـ على أن يحدث من التغيير في العالم أكثر مما أحدثه رسول الله ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة، وظني أن المهديَّ سيكون رجلًا فريدًا في كل باب: فَرِيدًا في علمه، فريدًا في ورعه، فريدًا في عبادته، فريدًا في خلقه، وأنه سيظهر، وقد تهيأ للعالم الإسلامي وضعٌ صَلُحَ فيه أمر الأمة، وتَمَّت فيه مرحلتا «التصفية والتربية»، ولم يَبْقَ إلا ظهور الزعيم المُصْلِحِ الذي يقوده، وهو المهدي) اهـ.

ثم حمل فضيلته على الجُهَّال الذين يسيئون فَهْم عقائد الإسلام، ثم ينحرفون، ويتخبطون؛ نتيجةَ قلة علمهم، وسوء فهمهم.

(١) رواه ابن حبان، (٢٨٣/١٣).
(٢) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، المجلد الأول، ص (١٠).

وقال - أيضًا - مُفَصِّلًا ما يَعْنِيهِ بمرحلتي «التصفية والتربية»:

«لا بد اليوم من أجل استئناف الحياة الإسلامية من القيام بهذين الواجبين: «التصفية والتربية».

● **وأردت بالأول منهما أمورًا:**

الأول: تصفيةُ العقيدةِ الإسلامية مما هو غريب عنها؛ كالشرك، وجحد الصفات الإلهية، وتأويلها، ورد الأحاديث الصحيحة؛ لتعلقها بالعقيدة ونحوها.

الثاني: تصفية الفقه الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة.

الثالث: تصفية كتب التفسير، والفقه، والرقائق، وغيرها، من الأحاديث الضعيفة، والموضوعة، والإسرائيليات المنكرة)، إلى أن قال - رحمه الله -: «وأما الواجبُ الآخَرُ فأريد به تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام المُصَفَّى من كل ما ذكرنا تربية إسلامية صحيحة منذ نعومة أظفاره، ودون أي تأثر بالتربية الغربية الكافرة.

ومما لا رَيْبَ فيه أن تحقيق هذين الواجبين يتطلب جهودًا جبارة متعاونة من الجماعات الإسلامية المخلصة، التي يهمها حقًّا إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، كُلٌّ في مَجَالِهِ، واختصاصه، وأما بقاؤنا راضين عن أوضاعنا، متفاخرين بكثرة عددنا، متوكلين على فضل ربنا، أو خروج المهدي، ونزول عيسى، صائحين بأن الإسلام دستورنا، جازمين بأنا سنقيم دولتنا، فذلك محال، بل وضلال لمخالفته لسنة اللَّه الكونية، والشرعية معًا؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] ، وقال ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[1] .

---

(١) رواه أبو داود، (٣٤٦٢) في البيوع؛ باب «النهي عن العينة»؛ والعينة: أن يبيع شيئًا من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه إلى المشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل من ذلك القدر، يدفعه نقدًا. وانظر: «السلسلة الصحيحة»، رقم (١١).

من أجل ذلك قال أحد الدعاة الإسلاميين اليوم: «أقيموا دولةَ الإسلام في قلوبكم تَقُمْ لكم في أرضكم»، وهذا كلام جميل جدًّا، ولكن أجمل منه: العمل به، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[1] [التوبة: ١٠٥]

وقال ـ رحمه الله ـ في معرض رده على من زعم أن دولة الخلافة الإسلامية لن تعود قبل ظهور المهدي:

«واعلم يا أخي المسلم أن كثيرًا من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع؛ فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي، وهَذِهِ خُرَافَةٌ وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامَّة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يُشعِر بذلك مطلقًا، بل هي كلها لا تَخْرُجُ عن أن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ بَشَّرَ المسلمين بِرَجُلٍ من أهل بَيْتِهِ، ووصفه بصفات؛ أبرزها: أنه يحكم بالإسلام، ويَنْشُرُ العدلَ بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجدِّدِينَ الذين يبعثهم الله في رأس كل مئة سنة، كما صح عنه ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم، والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكُلَ عليه، وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصَّواب؛ فإن المهدي لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ، الذي ظل ثلاثة وعشرين عامًا، وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته، فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم، فوجد المسلمين شِيَعًا وأحزابًا، وعلماءهم ـ إلا القليل منهم ـ اتخذهم الناس رءوسًا، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يُوَحِّدَ كلمتهم، ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا ـ بلا شك ـ يحتاج إلى زمن

(١) «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»، المقدمة.

مديدٍ اللَّهُ أعلم به، فالشرع والعقل معًا يقضيان أن يقوم بهذا الواجب المُخْلَصُونَ من المسلمين، حتى إذا خَرَجَ المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج، فقد قاموا بواجبهم، والله يقول: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾(١). اهـ.

٢- وفي كتابهما «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة» يُفَصِّل المؤلفان هذا المسلك، ويقولان ما ملخصه بتصرف وإضافات:

لَا بُدَّ مِنْ عَوْدَةِ الخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ، وَاسْتِعَادَةِ القُدْسِ، قَبْلَ ظُهُورِ المَهْدِيِّ

[(أ) تشير بعض الأحاديث الصحيحة إلى أن حالةَ الناسِ الدينيةَ في تراجع مستمر مع الزمن، ولكنه تَرَاجُعٌ بشكل عامٍّ لا بِشَكْلٍ فردي؛ أي هو من العام المخصوص، والمخصِّص قوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ المَطَرِ، لَا يُدْرَى آخِرُهُ خَيْرٌ أَمْ أَوَّلُهُ؟»(٢).

وقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(٣)، وقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: «لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا، يَسْتَعْمِلُهُمْ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(٤).

ولا يرد عليه انعدام الدولة والصَّوْلة؛ لأنه لا يمتنع عقلًا أن تنطلق هذه الأمة انطلاقًا

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، (٤/ ٤٢ - ٤٣).

(٢) رواه الترمذي رقم، (٢٨٧٣) في الأمثال: باب «مثل أمتي مثل المطر»، ورواه الإمام أحمد في «المسند»، (٣/ ١٣٠، ١٤٣) من حديث أنس، و(٤/ ٣١٩) من حديث عمار بن ياسر، وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حَسَنٌ»، ونقل المناوي عن الحافظ ابن حجر قوله: «هو حديث حسن له طرقٌ، قد يرتقي بها إلى الصحة» اهـ. من «فيض القدير»، (٥/ ٥١٧).

(٣) انظر تخريجه ص (٢٠)، (٥٣).

(٤) رواه من حديث أبي عنبة الخولاني الإمام أحمد، (٤/ ٢٠٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»، (٦/ ٢٣١)، رقم (٧٥٦٩).

جديدًا؛ حتى يتم قوله ـ عز وجل ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾، [التوبة: ٣٣].

ومما يؤيد ذلك قوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا»(١) الحديث، وقوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ بِهِ الْكُفْرَ»(٢).

(ب) ـ وقد وردت أحاديث يُفْهَمُ منها قيام خلافة راشدة قبل خروج المهدي: منها ما رواه ابن حَوالَة الأزدي رضي الله عنه قال: وضع ـ رسول الله ﷺ يده على رأسي، أو على هامتي، ثم قال: «يَابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ، فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ، وَالْبَلَابِلُ، وَالأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ من رأسك»(٣).

ومنها ما رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه قال ـ قال رسول الله ﷺ: «عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وفتح

---

(١) صدر حديث رواه من حديث ثوبان رضي الله عنه مسلم رقم (٢٨٨٩) في الفتن، باب «هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض»، والترمذي، رقم (٢١٧٧) في الفتن، باب «ما جاء في سؤال النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ ثلاثًا في أمته»، وأبو داود، رقم (٤٢٥٢) في الفتن، باب «ذكر الفتن ودلائلها»، وانظر: «جامع الأصول»، (١١/٣١٧ ـ ٣١٨).

(٢) رواه الإمام أحمد، والطبراني في «المعجم الكبير»، وابن منده في «كتاب الإيمان»، والحافظ عبدالغني المقدسي في «ذكر الإسلام»، وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحاكم، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وكذا أخرجه ابن حبان، وابن عروبة» اهـ. ملخصًا من «تحذير الساجد»، للألباني، ص (١٧٣ ـ ١٧٤)، «السلسلة الصحيحة»، حديث رقم (٢)، وقد صححه على شرط مسلم.

(٣) رواه أبو داود، (٢٥٣٥) في الجهاد، باب «في الرجل يغزو يلتمس الأجر والغنيمة»، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود»، (٢٢١٠).

الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدَّث أو منكبه، ثم قال: «إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنَّكَ هُنَا، أَوْ كَمَا أَنَّكَ قَاعِدٌ»(١)، وفتح القسطنطينية سيتم في زمن المهدي الذي هو في زمن عيسى - عليه السلام.

قالوا: وعمران بيت المقدس سيكون بالخلافة النازلة فيه؛ وهذا يستلزم تحرير القدس؛ وتحريرها يستلزم قيام الجهاد الشرعي الإسلامي ضد اليهود هناك.

- ومنها ما رواه المقداد بن الأسود ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتُ مُدَرٍ، وَلَا وَبَرٍ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ؛ إِمَّا يُعِزُّهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -، فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ، فَيَدِينُونَ لَهَا»(٢)، قالوا:، وقوله ﷺ: «فَيَدِينُونَ لَهَا» فيه إشارةٌ إلى الجزية، وإشارة أخرى إلى أن هذا إنما يكون قبل نزول المسيح - عليه السلام -؛ لأنه لا يقبل الجزية من أحد.

(جـ) - وهذا يؤكد حتيمة عودة الخلافة الإسلامية، وسيادتها على العالم كله، والخلافة لن تسقط على المسلمين في قرطاس من السماء، ولكن للنصر أسبابه المتعددة، وقد بشر - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - بفتح رومية(٣)؛ وهذا الفتح لن يتم إلا بالجهاد في سبيل الله - عز وجل -، والصبر عليه، وبذل الأموال والأنفس، والخلافة التي يُقيمها هذا الجهاد خلافةٌ راشدةٌ على منهاج النبوة؛ كما أخبر النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -؛ ولذلك، فلا بد أن تكون هذه الفئة سالكة طريق النجاة في الدارين؛ حتى لا يطول بها السرى في صحراء الخلافات، والفتن، وطريق السلامة من فتنة الفرقة التي تنبأ بها - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في قوله: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ بَعْدِي فَسَيَرَى

(١) رواه أبو داود، (٤٢٩٤) في الملاحم، باب في أمارات الملاحم، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود»، (٣٦٠٩).
(٢) رواه الإمام أحمد (٦/٤)، والحاكم، (٤/٤٣٠) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي والبيهقي في «السنن»، (٩/١٨١)، وصححه الألباني في «تحقيق المشكاة»، (١/٢٠).
(٣) انظر: ص (٧٠٣).

اخْتِلَافًا كَثِيرًا» إنما يتلخص في أمرين بَيَّنَهُمَا ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، ثم قوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «وَإِيَّاكُمْ، وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ» الحديث[١].

فالطائفة المنصورة لا بد أن يكون منهجها موافقًا لمنهاج النبوة؛ الذي هو منهج السلف الصالح، والرعيل الأول القائم على الاتِّبَاعِ، وتَرك الابتداع؛ لأنه هو المنهج الوحيد الصحيح القادر على إعادة الخلافة في الأرض، وهي مع ذلك تحتاج رجالًا أولي عزم وتقى، يقوم على أكتافهم هذا البعث الجديد، فلا بد من تربيتهم على الكتاب، والسنة، ولا بد من علاج هذا الواقع الأليم الذي يعاني منه المسلمون في كل مجال في ضوء شريعة الله المصفاة من كل دخيل من الآراء، والأهواء، والبدع، فعاد الأمر إلى كلمتين.

«التصفية، والتربية».

(د) ـ والزمان هو السِّفر المنظور الشارح لكتاب الله المسطور؛ آيات سورة الإسراء تُبيِّن أنه لا بد من جولة قادمة بين المسلمين، واليهود، وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ المُسْلِمُونَ؛ حَتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودُ وَرَاءَ الحَجَرِ، وَالشَّجَرِ، فَيَقُولَ الحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ»[٢].

قال الإمام النووي تعليقًا على الحديث: «الغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال، واليهود»[٣].

---

(١) انظر: تخريجه ص (٢٦).

(٢) رواه مسلم، (٢٩٢٢).

(٣) «شرح النووي»، (١٨/٤٤ ـ ٤٥)، ومن الجدير بالذكر أن يهود الدولة اللقيطة يكثرون الآن من زراعة هذا الشجر في المستوطنات والحدائق وغيرها.

وفي رواية للحديث عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن رسول الله ﷺ، قال: «تُقَاتِلُكُمْ يَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ؛ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»(١).

ولئن وصف رسول الله ﷺ أولئك المجاهدين - في هذا الحديث - بوصف عام هو الإسلام؛ فلقد وصفهم بوصف أخص؛ وهو كونهم «أهل السنة والجماعة»، «الطائفة المنصورة»؛ وذلك فيما رواه عمران بن حصين - رضي الله عنهما -، قال: قال رسول الله ﷺ: «وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ..»(٢)، وهذا الحديث يشير إلى أن من ضمن قتالهم قتال المسيح الدجال، وأعوانه؛ وأعوانه أكثرهم اليهود.

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ جَابَهَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِن لأواء حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ كَذَلِكَ، قَالُوا: أَيْنَ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»(٣).

- وهذا الحديث واضح الدلالة على أن القوم المقاتلين الذائدين عن بيت المقدس هم من نفس الطائفة المنصورة أهل السنة، والجماعة. وفيه تحديد لأماكن وجودهم في آخر الزمان.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى

(١) رواه البخاري، (٦٩٩/٦)، (٦١)، كتاب «المناقب»، (٢٥)، باب «علامات النبوة»، رقم، (٣٥٩٣)، ورواه مسلم، (٢٢٣٩/٤)، (٥٢)، كتاب الفتن، (١٨)، باب «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل..»، حديث رقم (٨١).

(٢) رواه أحمد، (٤٢٩/٤)، ورواه الحاكم، (٧١/٢)، (٤٥٠/٤)، وقال صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه عبدالله ابن الإمام أحمد في المسند، (٢٦٩/٥)، عن أبيه وجادةً، ورواه الطبراني، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»، (٢٩١/٧): «رجاله ثقات».

أَبْوَابِ دِمَشْقَ، وَمَا حَوْلَهُ، وَعَلَى أَبْوَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَا حَوْلَهُ، وَلَا يَضُرُّهُمْ خُذْلَانُ مَنْ خَذَلَهُمْ.. ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»(١).

قالوا: إن الأحاديث الشريفة تدل على حدوث قتال بين المسلمين واليهود، وانتصارهم على اليهود قبل زمن الدجال، وليس شرطًا أن تكون المعركة بين المسلمين، وبين صنف من أعدائهم واحدة فقط؛ فقد تتعدد المعارك، وتتكرر الفتوحات، فالقسطنطينية(٢) - مثلًا - فتحها السلطان محمد الأول [١٨٥٧هـ - ١٤٥٣م]، وهذا الفتح غير الفتح الأخير الذي أخبر عنه النبي ﷺ قبل خروج الدجال مباشرة، وفتح بيت المقدس تم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم احتله النصارى الصليبيون، ثم فتح في عهد صلاح الدين الأيوبي، ثم احتل في عهد التتار ثم فتح، ثم احتله النصارى الإنجليز، ثم احتله اليهود، وسيتم عمرانه، وفتحه مرة أخرى قبل فتح القسطنطينية.

يقول الأستاذ/ عبدالوهاب عبدالسلام طويلة: «لقد فتحت القسطنطينية لأول مرة في زمن السلطان العثماني محمد الثاني، المعروف بالفاتح - رحمه الله -؛ فحاز بذلك مع جيشه بشارة النبي ﷺ، ومديحه كما سلف، غير أن الضعف حَلَّ بالمسلمين بعد الحرب العالمية الأولى، وتداعت عليهم الأمم؛ بسبب ابتعادهم عن دينهم الذي أعزهم الله به، فأصبحت القسطنطينية تحت حكم الملحد مصطفى كمال، صنيعة الصهيونية، والاستعمار، ولا زالت الأمور في تركيا تسير من سيء إلى أسوأ؛ حتى إنهم حالفوا اليهود، وفتحوا لهم بلادهم، وتوددوا إليهم، وهم أيضًا يخطبون ود الأوربيين بتضييق الخناق على المسلمين، ومحو كل ما يمت إلى الإسلام بصلة، والأوربيون لا يعبأون بهم، بل يحتقرونهم. وربما يطرأ تغيير على الوضع الدولي قبل ظهور المهدي، وخروج الدجال؛ فتصبح القسطنطينية تحت حوزة النصارى، أو حلفائهم.

---

(١) رواه أبو يعلى، قال الهيثمي: «ورجاله ثقات»، انظر: «مجمع الزوائد»، (١٠/٦٣ - ٦٤).

(٢) مدينة بناها الملك قسطنطين، وهي مثلثة الشكل؛ جانبتان منها في البحر، وجانب في البر.

والفتح الأخير لها لن يكون بقتال؛ وإنما بالتكبير، والتهليل تسقط المدينة؛ مكافأة للمسلمين الذين أبلوا بلاء حسنًا لدى قتال الروم في الملحمة الكبرى.

- عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديثه السابق: «... وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ؛ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهَالِيكُمْ، فَيَخْرُجُوا، وَذَلِكَ بَاطِلٌ».. الحديث.

- وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ؛ جَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَرِّ، وَجَانِبٌ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزُوهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ؛ فَإِذَا جَاءُوهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ، وَإِنَّمَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطَ أَحَدُ جَانِبَيْهَا»، قال ثور بن يزيد: «لا أعلمه إلا قال: الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطَ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُونَ الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ، فَيَدْخُلُونَهَا فَيَغْنَمُونَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ؛ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ، فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَرْجِعُونَ»، [أخرجه مسلم](1) اهـ.

وَعْدُ اللَّهِ - تَعَالَى -

لقد سقطت دولة الخلافة، وابتعد أكثر المسلمين عن القرآن رويدًا رويدًا؛ فتناولتهم السبل، ومخروا عباب بحر الفرقة اللجب، وابتعدوا عن شاطئ النجاة؛ فاستوت بهم سفينة الحيرة على صخرة الاختلاف، وبلغ بهم الأمر إلى أنهم نبذوا كتاب ربهم وراء ظهورهم، ذابوا في غيرهم؛ حتى صار من بين المسلمين من لا تستطيع أن تميزه من الكافر لا في المظهر فحسب، بل حتى في الصميم من الأخلاق والأفكار والعادات.

(١) «المسيح المنتظر ونهاية العالم»، ص (٨١ - ٨٢).

وعلى حين غفلة من هذا المارد النائم، لململت فلول الشرذمة المغضوب عليها قواها المبعثرة، وأعادوا الكرة على الذين نبذوا كتاب ربهم وراء ظهورهم؛ فأذلوهم، وأذاقوهم ألوان الخزي، والعار، وانهالت الإمدادات على أمة القردة، والخنازير من أمة الضالين، وعَبَدة الطاغوت؛ فأصبح اليهود أكثر نفيرًا من المسلمين، ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، [الإسراء: ٦]، وهاهم رعاة الأمة - إلا من رحم الله - قد نسوا الله فأنساهم أنفسهم؛ حاربوا أولياء الله الداعين إلى طريق النجاة، وتبرأوا من الإسلام، وتنكروا له وأرادوا أن يُحَلِّقُوا في الدنيا بجناح المادة، فخذلهم جناح الإيمان، فكبكبوا على وجوههم، وتولى الله تأديبهم على يد من لا يرقبون فيهم إلًّا ولا ذمة؛ فتراهم متخبطين في كل قطر، أذلة في كل وجه، يسومهم أعداء الله سوء العذاب، ويفرضون عليهم الخزي والعار، ويتخذونهم مطية رخيصة؛ ليصلوا عليها إلى مآربهم التوراتية، والتلمودية، ولكن لن يتم لهم ذلك، ولن يجنوا ثماره بإذن الله؛ لأن الله - عز وجل - قضى - وهو أحكم الحاكمين -، ووعد - وهو - سبحانه - الذي لا يخلف الميعاد -: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـࣳۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾، [الإسراء: ٧-٨].

أي إن عدتم للإفساد، والعلو في الأرض عاد الله عليكم بتسليط أعدائكم عليكم؛ كما فعل في الإفساد الأول؛ إذ قال - سبحانه -: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾، [الإسراء: ٥]، وفي المرة التالية قال - تعالى -: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾، [الإسراء: ٧]؛ حتى تعود فلسطين المسلمة بعد أن يستيقظ المارد النائم ليصب على الأمة الغضبية جام غضب الله عليهم، ويحرر الأقصى الأسير[1]، ويفتحه خليفة المسلمين من جديد؛ كما فتحه من قبل عمر الفاروق،

(١) انظر: «مجموعة الرسائل الكبرى»، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٢/٥٧ - ٥٨).

وصلاح الدين.

ويقتضي هذا كله أن القتال في فلسطين سيعود إسلاميًّا خالصًا في سبيل الله وحده لا قوميًّا رغم أنف العلمانيين والقوميين وأذنابهم، ولا يقدر على ردع الشيطان اليهودي سوى نور القرآن؛ يحرقه ويبيده، ولن يَهْزِمَ شِرْكَهُمْ إلا توحيدُنا، ولعل تعقيب الآيات بقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾، [الإسراء: ٩]، فيه إشارة لطيفة إلى أن سلاح العودة إلى بيت المقدس، وقبلتنا الأولى هو كتاب ربِّنا لا غير، ويقتضي هذا ـ أيضًا ـ أن قضية فلسطين لن تحل سلميًّا، ولن ينعم اليهود أبدًا بالسلام الأبدي الذي يحلمون به، وإن استمرت موجات هجرتهم إلى الأرض المقدسة: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾، [الإسراء: ١٠٤]؛ فإنهم سيجتمعون لفيفًا في أرض (الميعاد) من كل حدبٍ، وصوبٍ، ومن كل فجٍّ عميقٍ يلبون نداء القدر الذي قضى الله به عليهم منذ الأزل، وإن استمر الإمداد المادي من عبَّاد الصليب، وغيْرهم؛ فهذا ما أخبر به ـ عز وجل ـ في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، [الإسراء: ٦].

والحاصل أنه لن يهدأ للمغضوب عليهم بال، ولن يقر لهم قرار ـ إن شاء الله ـ؛ لأن الله ـ عز وجل ـ قضى بمنع ذلك، أما الخريطة التي نقشوها على باب (الكنيست)(١)؛ فلن يكون لها وجود إلا في عقولهم المنحطة، وقلوبهم الصلبة القاسية؛ كحجارة (الكنيست) التي نقشوها عليها، أو أشد قسوة.

وعودة الأقصى للمسلمين بالمثابة التي ذكرنا تستلزم قيام خلافة راشدة على منهاج النبوة؛ فقد قال ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا؛ (أي

---

(١) بل التي يرمز إليها علم دولتهم، الذي يحتوي خطين أزرقين أفقيين متوازيين أحدهما يشير إلى النيل، والآخر يشير إلى الفرات، بينهما أرضية تحمل نجمة داود، والتي يرمز إلى امتداد سلطان دولتهم من النيل إلى الفرات.

وراثيًا)؛ فَيَكُونُ جَبْرِيًّا؛ (أي قهريًا)، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ سَكَتَ»(١).

يقول مؤلفا «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة»:

«وأحاديث المهدي الصحيحة تخبر بظهور مصلح في آخر الزمان؛ يحكم بالكتاب والسنة، يملأ الأرض عدلًا بعد ما ملئت جورًا وظلمًا، يبايَع هو مكره، يحكم ثماني أو سبع حجج، يكثر المال في زمانه، ويحثوه، ولا يعده؛ اسمه محمد بن عبدالله، من أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -، ومن ولد فاطمة - رضي الله عنها -، وهو إمام عادل تقي، وحاكم منصف، وليكن معلومًا لدى الجميع أن الخلافة الراشدة تعود قبل ظهور المهدي؛ وليس كما يعتقد الناس، وتزعم بعض الجماعات الإسلامية؛ مثل جماعة التبليغ أن الخلافة يرجعها المهدي، وهم ينتظرونه؛ فإن هذا ما لا دليل عليه، بل هو وهمٌ، وخرصٌ، وتخمينٌ.

فخلاصة ما ورد في المهدي ما تقدم ذكره، ومن الأدلة الدامغة على أن الخلافة ترجع قبل هذا الخليفة الصالح أن المسلمين يسترجعون بيت المقدس من اليهود؛ كما سبق ذكره، وتبيانه، بينما المهدي يكون عند ظهوره في بيت المقدس(٢)؛ أي أن بيت

---

(١) رواه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما الإمام أحمد (٢٧٣/٤) والطيالسي (٤٣٨) في «مسنديهما»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٩/٥): (رواه أحمد، والبزار أتم منه، والطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات) وقال الحافظ العراقي: (هذا حديث صحيح) كما نقله عنه الألباني في «الصحيحة» الحديث الرابع ص(٩).

(٢) ولعل هذا مأخوذ من قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حديث أبي أمامة الطويل في الدجال: «وكلهم أي المسلمون ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم، إذ نزل عيسى، الحديث، انظر: «فتح الباري» (٤٩٣/٦)، واعلم أنه لا يوجد نص صريح يجزم بتحديد مكان أول ظهور للمهدي، والبعض يرى أنه سيظهر في الشام بناء على الحديث الآنف الذكر وكذا حديث أبي هريرة المتقدم ص(٥٠)، ويرى البعض أنه يخرج من المشرق اعتمادًا على حديث ثوبان رضي الله عنه «ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق» وقد ضُعِّف، ويرى البعض أن أول ظهوره يكون في مكة والمدينة، قال القاري في «شرح الفقه الأكبر»: (ترتيب القضية أن المهدي عليه السلام يظهر أولًا في الحرمين الشريفين، ثم يأتي بيت المقدس، فيأتي الدجال، ويحصره في ذلك الحال، فينزل عيسى عليه السلام من المنارة الشرقية في دمشق الشام، ويجيء إلى قتال الدجال، فيقتله بضربة في الحال ....، فيجتمع =

المقدس يكون في أيدي المسلمين، وبيت المقدس الآن يرزح تحت نير الاحتلال الصُّهْيَوْني اليهودي البغيض، فلا بد من قيام الخلافة قبل المهدي؛ لأنها هي السبيل الوحيد لاسترجاع مجد الإسلام التليد»[1] اهـ.

* * *

= عيسى عليه السلام بالمهدي ﷺ وقد أقيمت الصلاة، ... ويقتدي به ليظهر متابعته لنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم»اهـ. ملخصًا ص(١١٢).

(١) «الجماعات الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة» ص(٤١ ـ ٥٨) لمؤلِّفَيْهِ سليم الهلالي، وزياد الدبيج.